هيئة كتابة التأريخ

نوابغ
الفكر العربي

عقبة بن نافع

نهلة شهاب احمد



وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

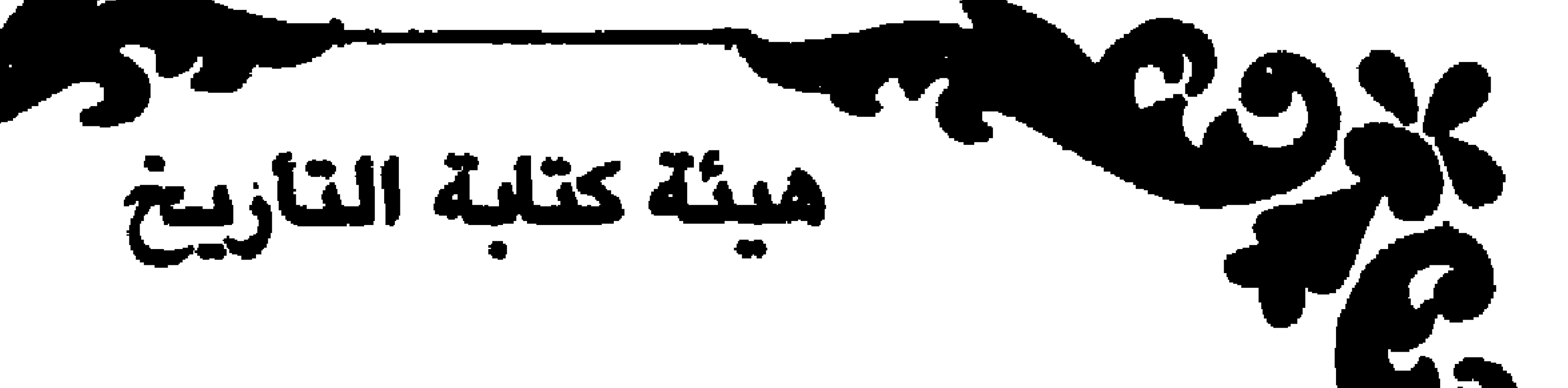
بغداد ١٩٨٩



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



هيئة كتابة التاريخ

سلسلة نوابغ الفكر العربي

عقبة بن نافع الفهري

نهلة شهاب أحمد

الطبعة الأولى - لسنة ١٩٨٩

المقدمـــة

تـأتي قضية دراسـة الشخصيات التـاريخية في تـراثنـا القـومي الحضاري ضمن اطار الفهم الواعي ، للفعل التاريخي الكبير الذي جسدته تلك الشخصيات ، في صنعها للأحداث التاريخية المهمة ، عـلى الأصعدة الفكرية ، أو السياسية ، او الاجتماعية ، او العسكرية .. التي تركت آثارها الايجابية الواضحة في مسار الواقع ضمن ابعاده الزمنية في الماضي والحاضر والمستقبل .

واذا كانت تلك الشخصيات محكومة بظرفها الذاتي والموضوعي ، وبواقعها ضمن اطار العصر الذي ظهرت فيه ، وقدمت معطياتها وابداعاتها المختلفة ، الا ان مايميز تلك الشخصيات هو قدرتها الفائقة في التعامل مع معطيات عصرها ، والتفـاعل مـع الواقع المعيش ، من خـلال المضاف في تفكيرها وسلوكها وامكاناتها في التحكم بالظروف الصعبة التي تجتازها ، واستجابتها العالية للتحديات ، لتحقيق الانجاز المطلوب منها ضمن اطار تخصصها .

والتاريخ العربي الاسلامي زاخر بتلك الشخصيات ، التي يعجز المرء عن حصرها ودراستها بصورة مستفيضة . فلقد حفلت مراحله التاريخية المختلفة بالكثير منها ، فقدمت ابداعاتها وانجازاتها المتميزة في شتى نواحي الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعلمية .

ودلت الوقائع والأحداث في مسار الأمة العربية الحضاري ، وفي عمق امتداد تاريخها ، وحتى يومنـا هذا ان بـالأمة حـاجة دائمـاً الى الرموز التاريخية الممثلة بالقادة التاريخيين المبدعين الذين تنجبهم الأمة ، وتصقل

واهبهم وابداعاتهم الضعاب والمعاناة ، ليعبروا عن همومها وطموحاتها ، يقودوها نحو ماتصبو اليه ، في ان تكون سباقة بين امم الأرض في ايصال رسالتها الانسانية التي اوكلتها لها الإرادة الالهية وعلى مر العصور والازمان .

ويبدو لنا من خلال دراسة تاريخنا العربي الاسلامي ، وتاريخنا المعاصر ، ان الأمة العربية كانت دائماً وماتزال تجد نفسها وخلاصها ، وتنطلق نحو اداء رسالتها من خلال رموز سياسية او فكرية أو دينية .. تتمثل في قادة ناضجين يمتلكون الخواص القيادية المطلوبة ، لهم حضورهم التاريخي الفاعل ، حتى لكأن رموز القادة هي المثال والنموذج عند الانسان العربي في هذه المنطقة ، حتى لكأن هؤلاء القادة هم الحافز نحو الابداع الحضاري ، والانطلاق الفكري والسياسي .

ان مسيرة الأمة العربية حفلت بقادة عظام . كان لهم دورهم المبدع في صنع الفعل التاريخي ، وتغيير عجلة التاريخ ، نقول هذا ونحن ندرك ان سمات ومواصفات القائد تستمد من تاريخ عصره ، وتضافر الظروف الذاتية والموضوعية في تشكيل لبنته الصلبة القوية ، اي ان القائد هو ابن الأمة ، ونتاج عبقريتها ، وخصوصيتها في الحياة والمجتمع ، وان هذه السمات المستمدة من ملامح الأمة لاتطمس ملامح وخصوصية القائد ، اذ ان دوره لايقف عند الانفعال بالحدث التاريخي ، وانما يسهم هو شخصياً في صنع الحدث ، وفق رؤيته الذاتية ، التي لاتعيش بمعزل عن رؤية الأمة الموضوعية ، وظروف اللحظة التاريخية ، والمرحلة التي افرزت الحدث .

وشخصية القائد العربي المسلم عقبةبن نافع الفهري ، احدى

الشخصيات التاريخية الجذابة ، التي استطاعت ان تتحول الى رمز في تاريخ الأمة ، رمز يقف بجدارة مع بقية الرموز التاريخية ، في التاريخ العربي الاسلامي ، بل لا أعدو الحقيقة إذا قلت ان شخصية عقبة قد اكتسبت بعدها الرمزي ، كأفضل مايكون عليه الرمز ، في تحوله الى مثال ونموذج والى بعد واقعي عملي تاريخي ، نظراً لما يتمتع به من ميزات وخصائص ذاتية ، ترجع الى كفاءته ومقدرته العسكرية ، وشدة اخلاصه وتفانيه ، في سبيل انجاز المهام والأهداف التي يؤمن بها ، فهو من اوائل المسهمين في عمليات الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب ، ولفترة طويلة تزيد على ربع القرن ، منذ ان كان احد قادة والي مصر ، عمروبن العاص .

ومنا هنا كثرت الاشارات التاريخية اليه في مصادرنا الأولية ، التي افردت له اسهاماته ومساحة مهمة ، مشيرة الى اهمية دوره في الفتح العربي الاسلامي ونشره الاسلام واللغة العربية .

ونجد حتى الوقت الحاضر اهتماماً كبيراً بعقبة وعهده في المغرب العربي ، فثمة عدد من المؤرخين المعاصرين الذين اهتموا به ، وأشاروا اليه اشارات دقيقة ، ولكن هذه الشخصية – على مايبدو – لم تنل العناية الكافية من البحث والتقصي .

ورغبة في تقديم هذا الرمز التاريخي بحجمه الحقيقي ، ولخطورة دوره التاريخي في المغرب ، أعدت هذه الدراسة للتعريف به ، وبانجازاته الباهرة ، السياسية والعسكرية والادارية والعمرانية .. في محاولة لكشف اللثام عن شخصية آسرة فاعلة في تاريخ الأمة العربية .

الفصل الأول

ظهور عقبة بن نافع على مسرح الأحداث

أولاً : نسبه ونشأته :

هو عقبة بن نافع بن عبد قيس[1] بن لقيطبن عامربن أمية بن الظرب بن الحارث ، من بني فهر[2] بطن من بطون قريش .[3]

ولد في عهد رسول الله (ﷺ) [4] ، ويحدد ابن عذاري مولده قبل وفاة الرسول محمد (ﷺ) بسنة واحدة[5] . وهنالك رواية ثانية مخالفة لروايته تذكر ان ولادته كانت قبل هجرة الرسول (ﷺ) بسنة واحدة ٦٢١ م[6] .

واغلب الظن ان هذه الرواية الثانية أصح من الأولى ، لأن عقبة دخل مع ابيه نافع بن عبد قيس مصر ، وشهد فتحها ، واختط بها ، وكانت بداية فتح مصر سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م . كما عهد اليه من قبل عمروبن العاص بقيادة حملة لفتح زويلة سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م[7] . ولهذا يبدو من غير المحتمل ان يدخل عقبة غمار الحرب وعمره (تسع سنوات) ويتولى قيادة جيش وعمره لايتجاوز الـ (ثلاث عشرة سنة) .

وكانت لعقبة صلة قرابة بعمروبن العاص ، وقد تباينت الروايات بشأن هذه الصلة ، فنسبها فريق من المؤرخين الى ناحية الأم ، فابن حزم يذكر مثلاً ان عقبة هو شقيق عمرو من أمه[8] ، كما ورد أيضاً انه ابن خالة عمروبن العاص[9] . اما الفريق الآخر فقد جعل هذه الصلة من جهة الأب ، وذكر أن عقبة وعمْراً ولدا عم[10] .

ويرى احد المؤرخين المحدثين ان لهذه القرابة علاقة كبيرة بظهور عقبة على مسرح التاريخ[11] ، وفي هذا تقليل من اهمية شخصيته ، وبخس لقدرته وكفاءته . ومن جهة أخرى لايمكن لابن العاص ، وهو المعروف بذكائه وحنكته العسكرية ان يضع مصير جيش العرب المسلمين لاسيما في

عهد الخليفة عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بيد عقبة بن نافع لكونه أحد اقربائه فقط ، لأن اي إخفاق يصيبه سوف تنعكس آثاره سلبيـاً على ابن العاص نفسه ، لأنه لم يحسن التصرف في اختيار قادة اكفاء لجيشه .

والواقع ان اهم الأسباب التي دعت عمروبن العاص الى اختيار عقبة هو مايتمتع به من مقدرة وكفاءة قتالية وقيادية ، اكتسبها من خلال البيئة العسكرية التي نشأ فيها ، فأبوه نافع بن عبدقيس اشترك في فتح مصر ، وارسله ابن العاص على قيادة جيش لفتح أرض النوبة في مصر[١٢] . كما كان لقومه من بني فهر من قريش دور مشرف وملحوظ في حروب ماقبل الاسلام ، وفي الفتوحات الاسلامية .

ومما يؤكد قدرة عقبة وكفاءته ، عدم استغناء امراء مصر الذين جاءوا بعد عمروبن العاص عنه ، فقد أبقوه في الخدمة من سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م الى سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م ، وفيها عزل عن ولاية افريقية ، ولم يكن عقاباً له بسبب خطأ ارتكبه ، وانما لأسباب اخرى سوف نتطرق اليها فيما بعد .

ثانياً : الأوضاع العامة في المغرب
قبيل الفتح والتحرير العربي الاسلامي

الموقع الجغرافي :

تتحدد المنطقة الجغرافية لبلاد المغرب العربي في الأقاليم الممتدة من برقة ، غربي مصر شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، وتنتشر شمالاً بمحاذاة البحر المتوسط ، وتمتد جنوباً في عمق الصحـراء الكبرى[١٣] ، وهي تضم الآن كلاً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا .

وتداخلت لدى الكتاب العرب لفظة افريقية بالمغرب ، واعطت مدلول مصطلح المغرب[١٤] ولكنها حددت فيما بعد بتونس وشرقي الجزائر[١٥] .

وفي ضوء ذلك امكن تقسيم المغرب العربي على اربعة اقسام هي :

١ ـ برقة (انطابلس) ، وطرابلس (طربيلة) : وهما الاقليمان الأولان من ناحية الشرق لبلاد المغرب ، ومن الملاحظ ان بعض الكتاب يدخلهما ضمن افريقية (المغرب الأدنى)[١٦] ، والبعض الآخر يدخل طرابلس فقط ، أما برقة فلايدخلها اصلاً ضمن المغرب كله[١٧] .

٢ ـ المغرب الأدنى : ويسمى بـ « افريقية » ، وتمتد من الحدود الغربية لطرابلس شرقاً الى بجاية غرباً[١٨] ، ويشمل مناطق تونس الحالية ، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر ، وكانت قاعدته مدينة القيروان ، وسمي بالأدنى ، لأنه اقرب بلاد المغرب الى دار الخلافة في المشرق .

٣ ـ المغرب الأوسط : ويمتد من الحدود الغربية لبجاية شرقاً ، حتى وادي ملوية غرباً ، الذي يعد الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، وقاعدته تلمسان[١٩] . ويشمل مناطق وسط الجزائر وغربها وسمي بالمغرب الأوسط ، لتوسطه بين المغرب الأدنى والأقصى .

٤ ـ المغرب الأقصى : ويمتد مابين وادي ملوية وتلمسان شرقاً ، حتى المحيط الاطلسي ، عند مدينة آسفي غرباً ، وقاعدته مدينة فاس[٢٠] . وسمي بالمغرب الأقصى لبعده عن مركز الخلافة في الشرق ، ويشمل مناطق المملكة المغربية الحالية ، وموريتانيا .

وتجدر الاشارة الى ان هذا التقسيم وهذه الحدود والفواصل المصطنعة غير طبيعية ، لأن المغرب يكوّن كياناً واحداً متجانساً من النواحي

الجغرافية ، والبشرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، .. وهذا ينسجم مع
مطالب الشعب المغربي العربي الكبير ، من جديد ، ليكون سنداً وظهراً قوياً
للمشرق العربي في التحرر ، وبعث الوحدة العربية الكبرىٰ من المحيط الى
الخليج[٢١] .

وكان للموقع الاستراتيجي للمغرب وامتداده على طول شواطئ
البحر المتوسط شمالاً واطلاله على المحيط الاطلسي غرباً ، وكثرة موارده
وخيراته قيمة كبيرة أغرت الشعوب به وأطمعتها بالسيطرة عليه حتى مجيء
العرب المحررين الفاتحين ، فقد توالت عليه هجمات الرومان ، والوندال
والقوط ، والبيزنطيين .. ، وكان لجميع هؤلاء تأثيرات متفاوتة في سكان
المغرب العربي .

الأوضاع السياسية :

كان المغرب عشية الفتح العربي الاسلامي يرزخ تحت الحكم
البيزنطي الذي يعد امتداداً للحكم الروماني ، حيث انتهىٰ حكم الوندال في
المغرب على ايدي البيزنطيين منذ سنة ٥٣٣ م ، وقد بذل البيزنطيون جهوداً
كبيرة من أجل اعادة سيطرتهم ونفوذهم ، كما كانت عليه ايام الامبراطورية
الرومانية[٢٢] ، الا ان المناطق التي احتلها البيزنطيون كانت اقل بكثير من
المناطق التي كانت تحت سيطرة الرومان ، واقتصرت على المناطق
الساحلية ، وبعض المراكز الحصينة في الداخل[٢٣] ، اما بقية البلاد فلم
يستطع البيزنطيون التوغل فيها قط ، لافي الهضاب والجبال العالية ، ولافي
المناطق الصحراوية ، ولافي المناطق التي تقع في اقصى المغرب على المحيط
الاطلسي ، فقد كانت في ايدي امراء مستقلين من السكان المحليين

يناهضون هيمنة الأجنبي على البلاد ، وقد اشار الى ذلك ابن خلدون بقوله :
« وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ، ماشاء من قوة وعدة ، وعدد وملوك ورؤساء وأقيال وأمراؤها لايرامون بذل ولاينالهم الروم والافرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الاساءة »[٢٤] .

ومن أجل السيطرة على البلاد ، قامت السلطة البيزنطية الغازية بتقسيمها ادارياً على سبع مقاطعات ، حكم الثلاث الأولى منها قناصل (Consulaies) ، أما الأربع الباقية فكان يحكمها مديرون (Praesides)[٢٥] .

وكان على رأس السلطة البيزنطية حاكم يدعى بـ (قائد امبراطور) (Unprefet Dupretoir) ذا سلطة واسعة ومطلقة ، بيده كل الشؤون القانونية والقضائية والمالية والدينية .. ، يساعده فيه ذلك عدد من المستشارين والموظفين[٢٦] .

أما من الناحية العسكرية فقد وجهت السلطة البيزنطية المحتلة اهتمامها الى تنظيم الجيش الذي كان يتألف من ثلاثة عناصر ، وهم البيزنطيون ، ومنهم الفرسان والمشاة ، والسكان المحليون ومنهم الفرسان والمشاة ، والمشاركون في الحرس الامبراطوري ، الجنود المرتزقة[٢٧] .

ولم ينحصر اهتمام السلطة البيزنطية بالجيش فحسب ، بل وجهت اهتمامها بشكل اكبر الى تحصين مناطق نفوذها ، ذلك ان الحاكم العسكري كان يعتمد في الجانب الدفاعي على التحصينات المنيعة التي اقامها ، اكثر من اعتماده على الجنود ، لذا فقد بنيت حصون وقلاع جديدة ، فضلاً عن اعادة بناء الحصون الرومانية التي هدمها الوندال وتجديدها ، حتى تكون سداً منيعاً تقي البيزنطيين من ثورات سكان البلاد المحليين وهجماتهم[٢٨] .

وقد حكم البيزنطيون المغرب حكماً عسكرياً ، فكانت السلطة بيد بطريق مقره (قرطاجنة) يقيم معه اركان حربه وحاشيته العسكرية ، وكان البطريق احياناً يجمع بين السلطتين العسكرية والمدنية ، ويطلق عليه لقب اكسوخوس Exavque[٢٩] .

ولم يحسن البيزنطيون التعامل مع السكان المحليين ، لذلك لم يتمكنوا من استمالتهم الى جانبهم ، بل اثارت حفيظتهم سياسة التعسف والمغالاة في فرض الضرائب الباهظة ، والاتاوات ، وتفشي الرشوة بين جميع طبقات الحكام والموظفين[٣٠] . كما ان عمال البيزنطيين وموظفيهم كانوا على درجة كبيرة من القسوة والطغيان والطمع ، فقد كان همهم الوحيد جمع المال والاثراء ، دون الاهتمام بأمور البلاد العامة[٣١] .

ومما زاد في سوء الأوضاع الخلافات المذهبية في الدين المسيحي ، فيما يعتقده عامة الشعب ، عن الذي يعتقد به رموز السلطة في البلاد ، الذين اتبعوا سياسة الاضطهاد المذهبي ضد السكان المحليين[٣٢] ، ادت الى استفزازهم واندلاع العديد من من الثورات الوطنية ضدهم[٣٣] ، التي قاومها البيزنطيون باستخدام منطق القوة في سبيل كبح جماحها ، وعندما فشلوا في ذلك اتبعوا سياسة (فرق تسد) بين عناصر السكان ، وضربوا بعضهم ببعض ، مما ساعد على انتشار الفوضى وفقدان الأمن ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية[٣٤] .

وقد أدى هذا النزاع بين البيزنطيين والسكان المحليين الى اضعاف سلطة البيزنطيين ، ومما زاد الأمر سوءاً تضعضع الوضع الداخلي للامبراطورية البيزنطية بمجيء أباطرة صغار السن ، ضعفاء ، لم يملكوا

القدرة والكفاءة الادارية ، لاحكام سيطرتهم على شؤون الامبراطورية وممتلكاتها . وقد شجعت هذه الظروف على قيام الحركات الانفصالية ضمن السلطة البيزنطية نفسها ، فقد اعلن البطريق (جرجير Gregory) الحاكم البيزنطي في افريقية سنة ٦٤٦ م استقلاله ، ونصب نفسه امبراطوراً على الممتلكات البيزنطية في المغرب[٣٥] .

الأوضاع الاجتماعية والاقصادية :

يشكل البربر العنصر الأساس والغالب لسكان المغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي ، الذين سنأتي الى ذكرهم ، فضلاً عن اقليات سكانية من الأفارقة والروم البيزنطيين المحتلين ، الذين اسلفنا الحديث عنهم .

وقد تعددت الآراء بشأن الأفارقة ، لاسيما اصولهم وجنسيتهم ، فثمة من يرى انهم ينتمون الى العرق الافريقي الزنجي[٣٦] . وهناك من يعتقد انهم من البربر الذين خالطوا الروم وصاهروهم ، وكونوا نسلاً مولداً ، لاهو بالرومي ولابالبربري الخالص[٣٧] ، ويرى آخرون انهم من بقايا الشعب القرطاجني القديم[٣٨] ، وهناك اشارات عند بعض المؤرخين العرب تؤيد انتماءهم الى اصول بيزنطية[٣٩] ، ولهذا يبدو أن الأفارقة كانوا عنصراً خليطاً من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب كالرومان ، والوندال ، والبيزنطيين[٤٠] .

وقد تركز استيطان الافارقة في المناطق الساحلية حول مدينة برقة[٤١] ، وفي مدينة قابس[٤٢] ، وعند منطقة مدينة المنستير[٤٣] ، وتوغل قسم منهم في الداخل في المنطقة التي تقع فيها مدينة فاس الحالية ، في المغرب الأقصىٰ في مكان يدعىٰ بعقبة الأفارقة[٤٤] .

أما البربر فهم السكان الأصليون الذين يمثلون الغالبية العظمىٰ من العناصر البشرية التي استوطنت في شمال افريقية .

وقد اختلف الكتاب في لفظة البربر واصلها ، ومن الذي اطلقها على سكان المغرب ، فمنهم من فسرها لغوياً على اساس انهم يتكلمون بلغة تختلط فيها الأصوات غير المفهومة ، فقيل لهم : ماأكثر بربرتكم ، فسموا بالبربر[٤٥] . ومنهم من زعم ان كلمة البربر جاءت من انتسابهم الى بربر ، احد اجدادهم[٤٦] .

ومهما يكن من امر هذا الاختلاف ، فالظاهر ان هذه اللفظة دخيلة ، لم يطلقها البربر على انفسهم ، بل اخذوها عن الرومان ، وهي مشتقة من لفظة (Barbari) اللاتينية ، التي اطلقها الرومان على الأقوام التي لاتتكلم اللغة اللاتينية ، او اليونانية ، اذ ان البربر كثيراً ماكانوا يسمون انفسهم بالأمازيغ ، ومعناها : الرجال الأحرار[٤٧] .

وكما اختلف الكتاب العرب في لفظة البربر ، فانهم اختلفوا أيضاً في الأصول التي انحدروا منها ، والمناطق التي جاءوا منها الى المغرب ، وقد تعددت وتباينت الآراء في هذا المجال ، لكن معظم هذه الآراء على الرغم من اختلافها ، تشير الى ان البربر ينتسبون الى اصول كنعانية ، أو حميرية ، هاجرت من الجزيرة العربية الى المغرب[٤٨] ، ويعضد هذا ان نسّابة البربر أنفسهم يرجعون بعض القبائل البربرية الى اصول عربية ، فقد ذكر ابن خلدون ان نسّابة (لواته) ، ينسبون انفسهم الى حمير ، و (هوارة) الى كندة ، اما نسّابة (زناته) فينسبون انفسهم الى العمالقة والى حمير[٤٩] .

وجرياً على سياسة التفرقة التي اتبعها المستعمرون الأوربيون ، فقد

أشاعوا أن أصل البربر أوربي ـ آري ، وان الدماء البربرية ماهي الا مزيج من الدماء الحامية ، والدماء الآرية ، وكان هدفهم من وراء ذلك ، توجيه انظار البربر نحو أوربا ، وبث التفرقة بين العرب والبربر ، واحكام السيطرة على المغرب ، واقناع البربر بانهم والعرب جنسان متباعدان ، ليست ثمة صلة تربط بينهم ، في حين ان العرب والبربر ماهم الا ابناء عمومة ، يرجعون الى اصل واحد[٥٠] . وان مسار الحضارة العام في المغرب باصوله الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية ، ظل مرتبطاً بمسارات الحضارة في المشرق العربي ، وبات تاريخ المغرب العربي جزءاً لايتجزأ من تاريخ المشرق العربي[٥١] .

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين العرب في اصول البربر ، نراهم جميعاً متفقين في تصنيفهم الى مجموعتين كبيرتين لكل منهما نمطها الاجتماعي والاقتصادي والبيئي ، فالبعض منهم عرف الاستقرار والتمدن ، والبعض الآخر ألف حياة التنقل والبداوة[٥٢] ، وهناك من يفسر تقسيم البربر على أساس قبلي ، يجمعهم جذمان عظيمان ، وعلى هذا الأساس قسمت قبائل البربر على القسمين الآتيين :

القسم الأول : سمو بـ (البرانس) ، نسبة الى برنس بن بر .

والقسم الثاني : سمو بـ (البتر) ، نسبة الى مادغيس بن بر ، المقلب بـ (الابتر) ، والبرانس تجمعهم سبع قبائل ، وهي ازداجة ، ومصمودة ، وأوربة ، وعجيسة ، وكتامة ، وصنهاجة ، واوريغة ، وهناك من اضاف اليهم ، لمطة ، وهسكورة ، وكزولة ، وهؤلاء ينقسمون الى عدة بطون صغيرة . اما البتر فتجمعهم اربع قبائل رئيسة ، وهي اداسة ،

ونفوسة ، وضريسة ، وبنولوا الأكبر ، وهـؤلاء أيضاً ينقسمـون الى عدة بطون صغيرة[٥٣] .

ومن القبائل التي كانت تتميز بـالكثرة والقـوة زمن الفتح العـربي الاسـلامي ، اوربة ، وهـوارة ، وصنهاجـة ، من البرانس ، ونفـوسة ، وزناتة ، ومطغرة ، ونفزاوة من البتر ، وكانت اوربة تتقدم هذه القبائل لكثر عددها وشدة بأسها وقوتها[٥٤] .

ولم يكن البربر على وفاق ، بل كانوا في نزاع مستمر ، بسبب التفاوت والاختلاف في النواحي الاقتصادية والاجتمـاعية ، فلطالمـا كانت لقبـائل البترتشن غزواتها على النواحي العمرانية للبرانس ، وهذا النزاع كان له تأثير كبير في الوحدة السياسية للبلاد ، مما سهل غزوها واستعمار الشعوب الأخرى لها ، فقد استغل كل من الرومان والبيـزنطيـين هذا الخـلاف ، وساندوا البرانس ضد البتر ، وبثوا التفـرقة بينهم ، وألبـو بعضهم على بعض ، من أجل أن يخلو لهم الجو ، ويحكموا سيطرتهم على البلاد[٥٥] .

وكـانت الديانـة الوثنية من عبـادة الأصنام ، والظواهـر الطبيعية كالشمس والقمر وعبادة الحيوانات هي الغالبة المنتشرة بين البربـر[٥٦] ، ولكن الى جانب هذه الديانات انتشرت المسيحية في مناطق محدودة بين البربر المستقـرين في المناطق السـاحلية بحكم خضـوع هذه المنـاطق للسيـادة الرومانية البيزنطية ، والاحتكاك بهم ومعايشتهم[٥٧] . وكان للديانة اليهودية وجود في المغرب أيضاً ، فقد دان بعض البربر باليهودية التي انتشرت بين بعض قبائلهم في بعض مناطق المغرب الأدنى والمغرب الأقصى[٥٨] .

وفيما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية في المغرب ، فقـد كان السكـان

يمارسون مهنة الرعي وتربية الأغنام ، لما كانت تتميز به أراضيهم من خصب وكثرة مراع ، الى جانب ممارسة التجارة بشكل واسع مع المناطق المجاورة لهم ، لاسيما مع مصر والسودان وصقلية .. وكانت اهم تجارتهم هي الأغنام والصوف والزيت والعسل والشمع والقطران والفلفل والفواكه والحبوب كالشعير والحمص والعدس[٥٩] .. الى جانب بعض المعادن كالحديد والنحاس[٦٠] .. اما تجارتهم مع المناطق الافريقية الأخرى فكانت هي الملح الذي كان يبدل بالذهب ، فقد كان الملح والذهب اهم مادتين في التجارة الصحراوية ، الى جانب السلع الأخرى المحمولة الى الصحراء والسودان كالنحاس المسبوك والقمح والثياب الملونة .. ويقابل ذلك استيراد العنبر والشب والرقيق والعاج الابنوس وانياب الفيلة والجلود الشركسية[٦١] .

ان هذا الازدهار الاقتصادي النسبي دفع بعض السكان المحليين المنتفعين من هذا الوضع ، سواء في مناطق الداخل او في المناطق الساحلية الى الوقوف بوجه اي تغيير يمكن ان يحدث نتيجة لدخول قوة خارجية الى المغرب لاعتقادهم ان ذلك سوف يؤثر سلباً في مصالحهم التجارية ويجعلهم يفقدون مزاياهم الاقتصادية التي ينعمون في ظلها ، لاسيما التجارة ، التي تعد المحور الاساس لاقتصادهم ، وهكذا لعب هذا العامل دوره الفاعل في مقاومة بعض السكان المحليين للجيش العربي الاسلامي ، حال دخوله المغرب لأول مرة .

ويتضح من وصف الأوضاع العامة ان المغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي كانت تعمّه الاضطرابات المستمرة والتفكك الداخلي ، والانقسامات المذهبية ، وثورات السكان المحليين الدائرة على السلطات البيزنطية ، ترافقها احياناً حركات انفصالية يقوم بها بعض الولاة

البيزنطيين في المغرب عن السلطة المركزية ، مما اضعف السيادة البيزنطية على بلاد إلمغرب ، ومهد الأوضاع لدخول العرب المسلمين وطردهم للنفوذ البيزنطي منها .

ثالثاً : انجازات القادة العرب الذين سبقوا عقبة بن نافع في دخول بلاد المغرب

ترجع البدايات الأولى لفتح المغرب الى عهد الخليفة عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة ٢١ هـ / ٦٤ م ، فبعد ان تم لعمروبن العاص فتح مصر والاسكندرية ، واصل سيره غرباً نحو برقة[٦٢] ، وقد دعته الى ذلك الضرورة العسكرية والدفاعية ، لتأمين الفتح العربي الاسلامي لمصر ، بوجه خطر البيزنطيين ، فقد كان من المحتمل ان يتخذوا برقة قاعدة هجومية على العرب الفاتحين ، من اجل استرجاع مصر ، بعد ان ثبت لابن العاص ان هناك اتصالات جرت بين حاكمي الاسكندرية وبرقة ، وقد اشار الواقدي الى استعانة حاكم الاسكندرية بحاكم برقة في اثناء الفتح العربي لمصر ، اذ ارسل الأول هدية ورسالة للثاني ، يعلمه بوصول العرب الى مصر ، وانتزاعها من سلطة البيزنطيين ، وطلب منه العون والنجدة[٦٣] ، وقد عرض حاكم برقة الهدية والرسالة على ارباب دولته ، واستشارهم في الأمر ، فنصحوه ان ينصر صاحب الاسكندرية ، خوفاً من توجه العرب الى بلادهم أيضاً ، فأجابه الى ذلك ، وأمر ابن اخيه اسطفانوس ان يمضي في اربعة الاف مقاتل لمعاونة صاحب الاسكندرية ومساندته[٦٤] .

فضلاً عن ذلك فانه ماكان لأهل برقة ومصر من علاقات قوية ، حتى ان

بعض قبائلهم عدت نفسها من سكان مصر الاقباط[٦٥] ، ولهذا فقد كان لابد لفلول الجيش المنهزم في الاسكندرية ان تتجه الى برقة ، وتستجمع قواها هناك لشن الهجوم على مصر ، من اجل استرجاعها ، وهذا مادفع ابن العاص لمتابعة سيره والتوجه نحو برقة ، الى جانب الدافع الأساس ، وهو نشر الدين الاسلامي ، وتحرير الأجزاء الباقية في الشمال الافريقي .

توجه ابن العاص الى برقة على رأس جيش يقدر بنحو أربعة آلاف مقاتل ، من مختلف القبائل التي اسهمت في فتح مصر ، وبشكل خاص اولئك الذين يسمون بالمديين الذين جاءوا مع الزبيربن العوام ، لاسيما العشائر اليمانية من مهرة ، وحضرموت ، وخولان ، ومعافر ، ولخم ، والصدف[٦٦] ، ومن ضمنهم عشائر من الحجاز مثل فهر وبني عبدالعزىٰ من قريش ، والانصار[٦٧] ، وقد سلك هذا الجيش الطريق المحاذي للساحل ، ودخل برقة سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م[٦٨] . دون ان يلاقي اي مقاومة تذكر ، وصالح عمروبن العاص اهلها الذين كانوا من قبيلة لواتة البترية ، التي يصفها ابن خلدون بانها « بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر »[٦٩] ، على جزية مقدارها ثلاثة عشر الف دينار[٧٠] .

وتشير المصادر الى حسن طاعة اهل برقة ، حتى انهم كانوا يرسلون الجزية الى مصر ، حين يستحق دفعها ، ويشير ابن عبدالحكم الى ذلك بقوله : « لم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج ، انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها »[٧١] . ويؤكد البلاذري هذه الرواية ويضيف ان اهل برقة كانوا اخصب قوم في المغرب واكثرهم حباً للسلام[٧٢] .

وقد تباينت الآراء والأسباب التي قدمها المؤرخون المحدثون حول عدم مقاومة اهالي برقة للعرب المسلمين الفاتحين ، رغم تميزهم بكثرتهم

وقوتهم ، والتي يمكن اجمالها الى ماكانوا يعانون من وطأة نظام الحكم البيزنطي وتعسفه الشديد في فرض الضرائب ، وممارسته الاضطهاد الديني ، فما ان جاء الفتح العربي الاسلامي حتى وجدوا فيه الفرصة المناسبة للتخلص من الحكم البيزنطي ، كما وجدوا في الدين الاسلامي مايلبي حاجاتهم اليومية ، ومما يؤيد هذا القول حسن طاعة اهل برقة ، واستمرار ولائهم للعرب الفاتحين ، خلال الفترات التي توقف فيها العرب عن فتحهم للمغرب ، في الوقت الذي كان بامكانهم فيه ان ينقضوا العهد مع العرب لو ارادوا ذلك .

تابع ابن العاص مسيرته من برقة بمحاذاة الساحل الى طرابلس[٧٣] ، اذ ان نجاحه في فتح برقة بسهولة ، قدم له برهاناً مقنعاً على ان باستطاعته ان يهيىء قواته للهجوم على طرابلس ، وفي اثناء سيره الى طرابلس فتح في طريقه مدينة اجدابية[٧٤] صلحاً ، على جزية مقدارها خمسة آلاف دينار[٧٥] ، وتجمع معظم المصادر على وصول عمروبن العاص الى مدينة طرابلس سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م[٧٦] ، وكانت حصينة جداً فامتنعت من العرب المسلمين الفاتحين ، فحاصرها عمروبن العاص ، فاستنجدت حاميتها البيزنطية بقبيلة نفوسة ، التي كانت تدين بالنصرانية[٧٧] . ولايعرف شيء عن موقف نفوسة من طلب الحامية ، تلبية او رفضاً ، ولكن اذا افترضنا انها قدمت لها المعونة فربما كان هذا بسبب تشابه المعتقد الديني ، ووجود مصالح اقتصادية مشتركة بين الطرفين ، فقد كانت قبيلة نفوسة تمارس التجارة الصحراوية بين المناطق الداخلية ومنطقة السواحل ، ومن هنا جاءت مساعدتهم للروم البيزنطيين ، حماية لتجارتهم ، واستمراراً لعلاقاتهم مع البيزنطيين في الساحل[٧٨] ، وبعد مرور شهر على حصار طرابلس لعبت

المصادفة دورها ، فقد اكتشف نفر من المقاتلين العرب المسلمين ثغرة مكنتهم من اقتحام المدينة في الساحل الغربي ، ولم ينج من الروم البيزنطيين غير من استطاع الهرب الى السفن تجاه البحر(٧٩) .

وفي اثناء محاصرة ابن العاص لطرابلس ارسل جزءاً من جيشه بقيادة بسر بن ابي ارطأة(٨٠) فافتتحها الى ودان(٨١) ، وكانت عملية بسر هذه تهدف الى تأمين ظهر ابن العاص في الداخل ، وضرب تحركات القبائل في تلك المنطقة ، ومنعها من القيام بأي عمل من شأنه ان يعيق تقدم الفاتحين العرب ، وهذه هي السياسة نفسها التي اتبعها عند فتحه لبرقة وارساله عقبة بن نافع بفتح زويلة كما سنأتي الى ذكر ذلك تفصيلاً ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على عمق تفكير ابن العاص وبعد بصيرته ، كما يقدم لنا برهاناً على ان عمليات الفتوح لم تتم بشكل عشوائي اعتباطي ، بل تمت ضمن خطة مدروسة(٨٢) .

وماكاد ابن العاص ينتهي من فتح طرابلس حتى عجل بارسال جزء من جيشه الى مدينة صبراته الحصينة لفتحها(٨٣) . وكان اهلها قد تحصنوا واخذوا حذرهم عندما سمعوا بوصول جيش العرب الفاتحين الى طرابلس ، وعندما امتنعت عليه طرابلس ، وضرب عليها الحصار ، شعرت صبراته بالأمان ، ولم يعبأ أهلها بجيش المسلمين ، ولكن ما ان انتهى ابن العاص من فتح طرابلس ، حتى باغتهم بجنده ، فانتصر عليهم ، ودخل مدينتهم ، من بواباتها ، وغنم مافيها(٨٤) .

وعزم ابن العاص على مواصلة الفتح غرباً ، فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ليستأذنه في فتح افريقية بقوله : « ان الله قد فتح علينا طرابلس ، وليست بينها وبين افريقية الا تسعة أيام ، فان رأى امير

المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل »[85] . وقد اشار ابن عذارى الى هذا ، ولكن روايته احتوت على اضافات تصور لنا قوة واستعداد العدو ، وفي هذا مايوحي بان مواصلة الفتح كان يقتضي امدادات كبيرة[86] . وقد رد الخليفة على ابن العاص بالرفض وقال : « لا انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة غادرة ، لايغزوها احد مابقيت »[87] . وقد جاء هذا الرد متفقاً مع ماهو معروف عن الخليفة عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من حرصه الشديد على جيش العرب المسلمين ، وعدم السماح بزجه في ميادين بعيدة عن مركز الخلافة ، لأن ظروف الدولة الناشئة لم تكن تسمح بذلك ، يضاف الى هذا أيضاً صعوبة طبيعة المنطقة نفسها ، وبعد مراكز امدادات الجيش وتموينه[88] .

ولهذا كله لم يكن من الحكمة السياسية والعسكرية ان تتقدم وتتوغل الجيوش العربية الاسلامية الى غربي مصر ، قبل ان تركز اقدامها فيها ، وقد ثبتت صحة وجهة نظر الخليفة عندما وصل كتاب المقوقس الى عمروبن العاص يبين له فيه ان الروم يريدون نقض العهد الذي بينه وبينهم[89] ، فعاد مسرعاً الى مصر ، بعد ان ترك عقبةبن نافع حاكماً على برقة[90] . ولكن ابن العاص لم يتخلَّ نهائياً عن بلاد المغرب ، بل كان يبعث باستمرار حملات استطلاعية لتقصي اخبار المنطقة ، ومعرفة احوالها ، ومراكز الضعف والقوة فيها ، وقد اشار ابن عبدالحكم الى ذلك بقوله : « كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ، ثم يرجعون »[91] . وكان لعقبةبن نافع دور كبير في الاسهام بهذه الحملات الاستطلاعية ، كما سنرى فيما بعد .

ولكن ، وبعد ان تولى عثمانبن عفان ـ رضي الله عنه ـ الخلافة ، قام بعزل عمروبن العاص من ولاية مصر سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م ، واسندها الى

اخيه في الرضاعة عبدالله بن سعد بن ابي سرح[٩٢] . وقد سار ابن ابي سرح على خطى ابن العاص ، في ارسال السرايا الاستطلاعية ، لتغير على اطراف افريقية[٩٣] . وكانت هذه السرايا تعود باخبار تشجع الاقدام على فتح افريقية ، مما حمل ابن ابي سرح الى اخبار الخليفة بانشطة هذه السرايا في فتح افريقية ، وكان الخليفة متردداً في موافقته ، ولكنه في النهاية ، وبعد ان استشار الصحابة في أمر الفتح ، ووافقوه على ذلك ، اذن له بافتتاحها[٩٤] ، وقد جهز الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ابن ابي سرح بجيش ضم العديد من القبائل العربي في الحجاز والمدينة[٩٥] ، ونفر كبير من الصحابة ، منهم عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن العباس[٩٦] . وقد بلغ تعداد هذا الجيش حوالي عشرة آلاف مقاتل ، اذا اضيف اليه جيش مصر ، وحامية برقة[٩٧] .

وسار ابن ابي سرح بجيشه الى افريقية سنة ٥٢٧ / ٦٤٧ م[٩٨] ، سالكاً الطريق الساحلية ، ماراً بطرابلس التي كانت قد نقضت العهد بعد فتح عمرو بن العاص لها ، وتحصنت . فلم يضع ابن ابي سرج الوقت ، وينهك جيشه عندها ، بل تركها بعد ان اصابت فيها طليعة جيشه مراكب للبيزنطيين راسية على الساحل ، ثم مر بقابس[٩٩] ، فوجد البيزنطيين قد تحصنوا فيها فكرة الوقوف وتركها وراءه[١٠٠] ، ثم توجهت الحملة الى سبيطلة[١٠١] ، حيث كان الحاكم البيزنطي (جرجير) معسكراً هناك ، وكان هذا الحاكم قد خلع طاعة بيزنطة ، واعلن استقلاله ، ونقش صورته على الدنانير[١٠٢] ، وامتد سلطانه بين طنجة وطرابلس[١٠٣] . وكان جرجير على اهبة الاستعداد لملاقاة العرب الفاتحين ، منذ ان وصلت جيوشهم الى برقة وطرابلس[١٠٤] ، والتقى العرب المسلمون بجيش جرجير ، عند موضع يدعى

(عقوبة)[105] ، على بعد يوم وليلة من سبيطلة ، وقبل ان يحتدم القتال بين الفريقين ارسل ابن ابي سرح رسله الى جرجير يدعوه الى الاسلام ، أو أداء الجزية ، فامتنع واستكبر[106] ، فبدأ القتال ، واستمرت المعركة اياماً ، انتهت بهزيمة البيزنطيين ، ومقتل جرجير ، ودخول العرب الفاتحين الى سبيطلة[107] . ثم اخذ ابن ابي سرح يبث السرايا في ارجاء المغرب الأدنى ، فبلغت قصور قفصة[108] ، ومرمجانة[109] ، وتابعت فلول الجيش البيزنطي المنهزم الى حصن الاجم[110] ، وخاصرتهم هناك[111] .

وعندما رأى اهل افريقية انهم لايملكون القدرة على مواجهة العرب الفاتحين ، عرضوا على ابن ابي سرح الصلح ، مقابل دفع مبلغ كبير من المال ، قدره مليونان ونصف مليون دينار[112] ، او ثلاثمائة قنطار من الذهب ، بشرط ان يغادر العرب بلادهم[113] ، وقد وافق ابن ابي سرح على ذلك ، وعاد مسرعاً الى مصر ، حيث ادرك ان مواصلة الفتح وتثبيت اقدام العرب في افريقية ليس بالأمر الهين ، فمعركة سبيطلة لم تفتح الأبواب امام العرب لفتح افريقية ، بل اقتصرت على فتح جزء محدود منها ، ومن اجل تحقيق ذلك كان لابد من السير الى الشمال والسيطرة على قرطاج[114] ، والكثير من القلاع والحصون البيزنطية المنتشرة على الساحل[115] ، ولكن ابن ابي سرح لم تكن لديه القدرة الكافية التي يمكن ان يواجه بها جيش البيزنطيين شمال البلاد ، وقبائل البربر في جنوبها ، فقد خشي من ان يقوم البيزنطيون بقطع خط الرجعة عليه ، وشن هجوم مضاد باتجاهه[116] ، بعد ان بعدت الشقة بينه وبين مركز الامدادات في مصر ، فضلاً عن ذلك فانه من غير المحتمل في ذلك الوقت المبكر ان يكوّن العرب راغبين بتأسيس قاعدة ثابتة في المغرب[117] . لذا فقد اكتفى ابن ابي سرح بالانتصار الذي حققه ،

والغنائم الكبيرة التي حصل عليها المقاتلون ، حيث تشير المصادر الى ان نصيب الراجل بلغ الف دينار والفارس ثلاثة آلاف دينار[118] وعاد الى مصر ، بعد ان قضى سنة وشهزين[119] ، ويقال سنة وثلاثة اشهر[120] ، في هذه الحملة دون ان يقوم بأية اجراءات عسكرية او ادارية ، من شأنها ان تثبت اقدام العرب الفاتحين هناك[121] .

ولكن على الرغم من ان هذه الحملة لاتعدو ان تكون حملة استطلاعية طويلة الأمد ، الا انها لم تخل من بعض النتائج المهمة ، فقد كانت ضربة قوية للبيزنطيين ، اذلتهم ، وكسرت شوكتهم ، بحيث لم تعد لهم تلك القوة التي كانوا عليها قبل الفتح العربي الاسلامي[122] ، فضلاً عن ذلك فأن اقبال بعض زعماء البربر على اعتناق الاسلام يعدّ[123] كسباً كبيراً للعرب المسلمين .

وفي سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م حدث اشتباك بحري بين البيزنطيين والعرب المسلمين ، بسبب هجوم الاسطول البيزنطي ، بقيادة قسطنطين بن هرقل ، على شرقي البحر المتوسط ، نتيجة فتح العرب لافريقية ، ودارت المعركة بين الفريقين ، وكانت نتيجتها هزيمة البيزنطيين وانتصار العرب ، وقد سميت هذه المعركة بـ (ذات الصواري) ، لكثرة صواري المراكب واجتماعها[124] .

وقد توقفت الفتوحات بعد ذلك بسبب اضطراب الأحوال الداخلية للخلافة في المشرق ، على اثر الفتنة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة ٣٥ هـ / ٦٥٥ م ، وماعقبها من صراع بين الخليفة علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - ، ومعاوية بن ابي سفيان[125] .
ولكن ما ان استقر الأمر لمعاوية ، وبويع بالخلافة سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، حتى قام باعادة عمرو بن العاص الى ولاية مصر ثانية ، فاستأنفت

الحملات على المغرب من جديد[١٢٦] .

ولاتوجد معلومات عن نشاط كبير ومميز لعمروبن العاص في المغرب خلال ولايته الثانية على مصر ، سوى قيامه بارسال بعض الحملات الصغيرة الى برقة وطرابلس ، ويرجع السبب في ذلك الى الاضطرابات والمشكلات التي كانت تعاني منها الخلافة الأموية في المشرق[١٢٧] ، وهي في بداية تأسيسها ، بحيث لاتسمح لها بالتفكير للقيام بفتوحات واسعة تحتاج الى قوات عسكرية كبيرة ، في الوقت الذي هي بأمس الحاجة فيه الى هذه القوات ، لتركيز سلطتها وتثبتها .

ولهذا فقد اقتصر ابن العاص على ارسال حملة صغيرة الى برقة بقيادة شريك بن سمي المرادي ، لاخضاع قبائل لواته ، فتمت مصالحتهم[١٢٨] .

وبعد وفاة عمروبن العاص سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م ، عين ابنه عبدالله من قبل معاوية ، ثم عزله معاوية ، وولى اخاه عتبة بن ابي سفيان ، وعزله وولى مكانه عقبة بن عامر الجهني سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م[١٢٩] ، ثم اتخذ معاوية قراراً بفصل حامية (خربتا) ، ونقلها الى افريقية ، وعين معاوية بن حديج السكوني قائداً لها ، واسند اليه أمر مواصلة الفتوح هناك ، وجاء تعيينه بهذا المنصب تثميناً لقابليته بوصفه قائداً عسكرياً جيداً ، ولكثرة رجال عشيرته في مصر ، وجهوده في تأييد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وبالتالي تأييده أيضاً لمعاوية في صراعه لنيل الخلافة[١٣٠] .

وقد قام معاوية بن حديج في سنة ٤٥هـ / ٦٧٥ م بحملة كبيرة لاستكمال الفتوحات العربية في بلاد المغرب[١٣١] ، وجاءت هذه الحملة على اثر تردي الأوضاع الداخلية لافريقية ، واضطراب العلاقة بين السكان المحليين

والحكام البيزنطيين وتدهورها[١٣١] ، وبلغ تعداد جيش ابن حديج حوالي عشرة آلاف مقاتل ، وكان معظم هذا الجيش يتكون من جند مصر ، في حامية خربتا[١٣٢] . وقد ضم ايضاً عدداً من الصحابة والتابعين من مشاهير مكة والمدينة ، منهم عبدالملك بن مروان ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن الزبير ، ويحيىٰ بن الحكم بن العاص ، وجبلة بن عمرو الانصاري[١٣٤] ، وغيرهم من اشراف قريش .

ومضىٰ ابن حديج بجيشه سالكاً الطريق الساحلية ماراً بمدينة طرابلس ، التي لم تبين المصادر موقفها من هذه الحملة ، ومن المحتمل انها قد استسلمت ونزلت عند حكم ابن حديج ، الذي ولىٰ عليها رويفع بن ثابت الأنصاري[١٣٥] ، وبذلك أمِنَ من انتفاضة اهلها ، كما أمّنَ طريق رجعته ، فيما لو اضطر الى الرجوع ، وقد تابع ابن حديج سيره حتىٰ دخل افريقية فوجدها مضطربة تماماً[١٣٦] ، ونزل بجيشه عند (قمونية) ، وهي موضع مدينة القيروان[١٣٧] ، ثم رحل منها الى جبل يقال له (القرن) ، أو جبل (ممطور)[١٣٨] ، واتخذ بالقرب منه مركزاً مؤقتاً لاقامة الجيش واستراحته ، وعندما وصلت انباء حملة ابن حديج الى مسامع البيزنطيين ، جهزوا جيشاً لملاقاة العرب المسلمين الفاتحين ، تحت امرة بطريق يدعىٰ نقفور[١٣٩] ، واخرج له ابن خديج عبدالله بن الزبير على رأس سرية من الفرسان ، وسار حتى نزل في موضع غير بعيد عن سوسة ، ولما علم الجيش البيزنطي بقدومه انسحب الى مدينة سوسة[١٤٠] ، ومن هناك اقلع نقفور هو ورجال جيشه في البحر ، وولىٰ هارباً ، بعد ان انزل ابن الزبير الهزيمة بقواته[١٤١] .

وقد عزز ابن حديج هذا النصر بنصر آخر ، عندما ارسل سرية اخرى لفتح مدينة جلولاء[١٤٢] ، التي تبعد عن القيروان نحو اربعة وعشرين ميلاً . ويبدو ان العرب لم يلاقوا صعوبة في اقتحام اسوار هذه المدينة وهدمها ، لانها لم تكن على درجة كبيرة من القوة والمتانة[١٤٣] .

وبعد فتح مدينة جلولاء ، توجه ابن حديج بالجيش كله شمالاً ، وافتتح مدينة بنزرت ، وغنم كثيراً من نواحيها[١٤٤] ، ولكن ابن حديج شأنه شأن القواد الفاتحين الذين سبقوه عاد بجيشه الى مصر سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م[١٤٥] ، من دون ان يقوم بتدعيم الانتصارات التي حققها ، في الوقت الذي كانت الظروف فيه مشجعة على ذلك ، فالبيزنطيون في حالة تعيسة ، وافريقيا تعاني من مشكلات واضطرابات بسبب محاولة البيزنطيين فرض ضريبة جديدة على الأهالي مساوية لما كانوا قد دفعوه لابن ابي سرح سابقاً ، لهذا فقد كانت حملة ابن حديج شبيهة الى حدما بحملة ابن ابي سرح ، اي انها كانت حملة استطلاعية طويلة الأمد[١٤٦] .

ويشير بعض مؤرخينا الى ان ابن حديج قد بعث حملة الى صقلية قبل فتحه لبنزرت سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، بقيادة عبدالله بن قيس ففتحها ، واقام المسلمون هناك شهراً ، ثم عادوا الى افريقية بغنائم كثيرة ، وأصنام من الذهب والفضة مرصعة بالجوهر[١٤٧] ، ولكن يبدو انه من غير المحتمل قيام مثل هذه الحملة على صقلية ، لأن حملة ابن حديج كانت حملة برية ، ولم تكن حملة بحرية ، وان مثل هذه الحملة تحتاج الى اسطول قوي ، لم يكن متوفراً لدى ابن حديج ، ولم يكن العرب قد أنشأوا في ذلك الوقت قاعدتهم البحرية في افريقية ، مما يسهل عليهم مطاردة العدو في البحر[١٤٨] .

وبانتهاء حملة ابن حديج على افريقية ، تبدأ مرحلة جديدة من الفتح العربي الاسلامي للمغرب ، تتميز عن المراحل السابقة ، بشكلها المنظم والمستقر ، وذلك على يد الفاتح الكبير عقبة بن نافع الفهري ، الذي عهد اليه بولاية افريقية بعد معاوية بن حديج .

رابعاً : جهود عقبة ونشاطاته في المغرب العربي قبيل ولايته الأولى

دخل عقبة بن نافع المغرب اكثر من مرة ، تارة جندياً مقاتلاً مع بقية المقاتلين ، وتارة قائداً لحملات وجهت لتحريره ، وقد اكتشف عمرو بن العاص شخصية عقبة العسكرية ، ومايتميز به من مقدرة قيادية ، وشجاعة فائقة ، وحب ، وحماسة شديدة لنشر دين الاسلام ، واعلاء كلمة الله ، لهذا فقد اختاره لقيادة الجيش في حملة لفتح (زويلة) ، في عمق الصحراء ، بعد ان اتم هو فتح برقة سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م ، وكان هدف ابن العاص من هذه الحملة ، هو تأمين ظهره من الداخل ، وضرب تحركات القبائل في تلك المنطقة ، ومنعها من القيام بأي عمل من شأنه ان يعيق تقدم الفاتحين العرب في المناطق الساحلية ، من المغرب ، وقد تمكن عقبة من فتحها بسهولة ، وصارت المنطقة الممتدة بين برقة وزويلة تحت سيطرة العرب المسلمين الفاتحين[١٤٩] .

وقبل ان يعود عمرو بن العاص الى مصر بعد فتحه طرابلس ترك عقبة بن نافع قائداً على حامية برقة فظل مقيماً هناك يعمل جاهداً في سبيل نشر الاسلام بين اهالي هذه الأقاليم ، وتثبيت اقدام العرب في هذه الصحاري

الواسعة . ولما عزل الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م ، أبقى الأخير عقبة بن نافع في منصبه . وعندما سار ابن أبي سرح إلى افريقية لفتحها سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ م انضمت حامية برقة بقيادة عقبة بن نافع إلى جيشه[100] ولابد من أن عقبة بن نافع قد أبلى بلاءً حسناً في جهاده تحت راية ابن أبي سرح ، وأسهم في انجاح هذه الحملة ، إذ أنه مما لاشك فيه أن عقبة اكتسب خلال هذه المدة التي قضاها منذ حملته الأولى على زويلة ، حتى تقدم ابن أبي سرح خبرات واسعة عن افريقية ، نتجت عن تجاربه القتالية ، واحتكاكه بسكان البلاد ، وكان طبيعياً أن يلم بنواحي البلاد ، وطرقها ومسالكها ، وبطبيعة أهلها . وبعد انتهاء حملة ابن أبي سرح عاد عقبة إلى برقة ، ويبدو أنه بقي هناك مرابطاً ، ويشير ابن الأثير إلى ذلك بقوله : « كان [عقبة] مقيماً ببرقة وزويلة منذ فتحها أيام عمرو بن العاص »[101] بحيث أصبحت برقة القاعدة القوية المتقدمة والمسؤولة عن حماية الجبهة الغربية لمصر .

وهكذا استطاع عقبة بن نافع باعتزاله الحياة السياسية ، وعدم اشتراكه بالفتنة الكبرى ، التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – سنة ٣٥ هـ / ٦٦٥ م ، وما أعقبها من صراع بين الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومعاوية بن أبي سفيان[102] ، أن يحافظ على موقعه القتالي مركزاً جهوده وامكاناته العسكرية للجهاد ، وقتال أعداء الاسلام ، وقد كان لهذا الموقف أثره الايجابي الكبير في إعاقة وتعطيل أي تقدم وهجوم للبيزنطيين على بلاد المسلمين مستغلين بذلك انشغالهم بأزماتهم ومشكلاتهم الداخلية .

وما أن استقر الوضع لصالح معاوية بن أبي سفيان ، وبويع بالخلافة سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، حتى قلد بإعادة عمرو بن العاص إلى ولاية مصر ، واستأنف الأخير إرسال حملاته إلى المغرب . توجه عقبة بن نافع للقيام بحملات أشبه ما تكون بأعمال استطلاعية لإخضاع قبائل مزاتة ، ولواتة[٢٥٣] ، التي كانت قد أبدت العرب الفاتحين فيما سبق ، ولكنها نقضت العهد ، وبدأت بمقاومتهم ، مستغلة غيابهم وانشغالهم بحادثة مقتل الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وما أعقب ذلك من حروب أهلية .

وفي سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م ، قاد بحملة أخرى ، فتح فيها غدامس[٢٥٤] ، وقاد عقبة سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م حملة ثالثة لإخضاع قبائل هوارة[٢٥٥] ، وفي السنة نفسها افتتح ودان ، وهو فتح من بلاد السودان[٢٥٦] .

ثم عاد بعد ذلك إلى مصر ، وشهد وفاة عمرو بن العاص ، ثم رجع إلى برقة ، ويبدو أنه اشترك في حملة ابن حديج التي أشرنا إليها سابقاً[٢٥٧] . فالمصادر تشير إلى أن عقبة قام بحملات في المناطق الصحراوية في سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، أي في الوقت الذي كان فيه ابن حديج مشغولاً بفتح سوسة وبنزرت ، فقد أمر عقبة بالتوجه جنوباً لفتح صحراوات طرابلس وافريقية ، مما يشير إلى أن ابن حديج سار على خطى القائد عمرو بن العاص نفسها ، وسياسته في تأمين ظهره من الخلف .

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين كابن عبد الحكم ، والبكري ، الذي ينقل عنه[٢٥٨] ، يجعلان حملة عقبة بن نافع هذه ضمن فترة ولايته الأولى على افريقية ، لكن هذا على ما يبدو غير صحيح ، لأن القائم بأعمال افريقية وفتوحها في هذه الفترة هو ابن حديج ، ولا يجوز تعيين واليين لولاية واحدة في

فترة واحدة ، لهذا فمن المحتمل ان هذين المؤرخين قد خلطا بين حملة عقبة بن نافع سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، بصفته أميراً وقائداً للجيش ، وبين حملته سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، بصفته والياً على افريقية .

وقد توجه عقبة بن نافع من برقة سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، ونزل عند (مغمداش) ، غربي (سرت) ، وعسكر بجيشه هناك ، ثم استخلف عمرو بن علي القرشي ، وزهير بن قيس البلوي على الجيش ، وسار بنفسه ، ومعه اربعمائة فارس ، واربعمائة جمل ، وثمانمائة قربة ماء ، حتىٰ قدم (ودان) فافتتحها ، لأنها كانت قد ارتدت ، ونقضت العهد الذي ابرمته مع بسر بن ابي ارطأة سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م[١٥٩] ، ثم تقدم نحو (فزان)[١٦٠] ، وافتتح عاصمتها (جرمة)[١٦١] . وقد سهل عليه خضوع (جرمة) فتح بقية قصور (فزان)[١٦٢] ، ثم تقدم نحو (خاوار) ، ويسمىٰ أيضاً بـ (واجان) ، وهو حصن منيع يقع علىٰ ظهر جبل وعر في أول الصحراء الكبرى ، وكان يمثل عاصمة اقليم (كوّار) ، فسار اليه خمس عشرة ليلة ، فما وصل دعا اهله الى الاسلام ، فأبوا ، وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصنهم ، فحاصرهم شهراً ، فلم يتمكن من فتحه فتركه[١٦٣] ، وتابع سيره الى امام ، وفتح قصور (كوّار)[١٦٤] ، ثم كرّ راجعاً عن طريق (خاوار) ، لكنه خدع اهله بعدم التعرض له ، وسار مسافة ثلاثة أيام ، فظن أهل (خاوار) أنه لم يعود اليهم ، فاطمأنوا لذلك ، وفتحوا ابواب حصنهم ، واقام عقبة بن نافع وجيشه بعض الوقت بموضع يسمى (فاء الفرس) ، وبعد ان استراح جيشه ، قرر عقبة مباغتة أهل (خاوار) ، فقفل راجعاً اليهم ، سالكاً طريقاً غير الطريق التي أقبل منها ، حتى طرقهم ليلاً ، ودخل حصنهم عنوةً ، وغنم مافيه[١٦٥] ، ثم انصرف

راجعاً عن طريق (زويلة) الى معسكره في (مغمداش) ، بعد رحلة دامت نحو خمسة أشهر ، وكان من نتائج تلك الحملة تركيز وتثبيت سلطان العرب في الصحراء ، ونشر الاسلام بين قبائل البربر هناك . ولم يطل بعقبة المقام في معسكره (بمغمداش) ، بل خرج متوجهاً غرباً ، سالكاً الطريق الداخلية ، ماراً بأرض (مزاته) ، وافتتح كل قصر من قصورها ، وتوجه نحو المناطق الجنوبية من بلاد تونس ، فافتتح (غدامس)(١٦٦) ، و (قفصة) ، و (قسطيلية)(١٦٧) .

ويبدو انه عاد بعد ذلك الى معسكره في (مغمداش) ، وبقي هناك ، حتى وصله أمر الخليفة معاوية بن ابي سفيان بتوليته افريقية ، وتشير الروايات الى انه كان مقيماً يومئذٍ في مكان بين (برقة) و (زويلة) حينما وصله أمر الخليفة بالولاية(١٦٨) .

هوامش الفصل الأول

١ ـ البلاذري : انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله (القاهرة : ١٩٥٩) : ١ / ٣٩٧ . ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة (طهران : بدون تاريخ) : ٣ / ٤٢٠ ؛ الذهبي ، تجريد اسماء الصحابة (بومباي : ١٩٦٩) : ١ / ٣٨٤ .

٢ ـ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة) ١٩٧١) ، ص ١٧٨ ، ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان ، وليفي بروفنسال (ليدن : ١٩٨٤) : ١ / ١٩ ، وفيه : ابن الظرف مكان ابن الظرب ، والظاهر انه تحريف .

٣ ـ السمعاني ، الانساب ، تحقيق : رياض مراد (بيروت : بدون تاريخ) : ٩ / ٣٥٢ .

٤ ـ ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي (القاهرة : ١٩٦٠) : ٣ / ١٠٧٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٧) : ٤ / ٤٢٠ ، ابن الاثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٢٠ .

٥ ـ البيان المغرب : ١ / ١٩ .

٦ ـ الباجي ، الخلاصة النقية في امراء افريقية (تونس : ١٢٨٣ هـ) ، ص ٥ (نقلاً عن حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة : ١٩٤٧ م ، ص ١٣٠ ، الزركلي ، الاعلام ، بيروت : ١٩٦٩ م : ٥ / ٣٧) .

٧ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (القاهرة : ١٩٦١) ، ص ٢٣٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان (بيروت : ١٩٧٨) ، ص ٢٢٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم (القاهرة : ١٩٧٠) ، ٤ / ١٤٤ .

وزويلة : مدينة كبيرة قديمة تقع في وسط الصحراء ، متاخمة لارض السودان ، تشتهر بكثرة النخيل ، وبتجارة الرقيق الذي كان يجلب اليها من ارض السودان ، ويخرج منها الى بلاد افريقية (المغرب الادنى) وغيرها من البلاد ، انظر . الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ،

مراجعة : محمد شفيق غربال (القاهرة : ١٩٦١) ، ص ٣٤ : البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الجزائر : ١٨٥٧) ، ص ٢٠ ، ١١٠ ، مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق : سعد زغلول عبدالحميد (الاسكندرية : ١٩٥٨) ، ص ١٤٦ ، الحموي : ٣ / ١٥٩ ، ١٦٠ : القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد (بيروت : ١٩٨٠) ، ص ٤٠٩ .

٨ ـ جمهرة انساب العرب ، ص ١٦٣ .

٩ ـ ابن الاثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٣٠ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت : ١٩٧١) : ٣ / ١٠ ، الزركلي : ٥ / ٣٧ .

١٠ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، ومأمون صاغرجي (بيروت : بدون تاريخ) : ٣ / ٥٣٣ : العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي (القاهرة : بدون تاريخ) : ٦ / ٤٠٩ .

١١ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٣٠ .

١٢ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ .

١٣ ـ المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي (القاهرة : ١٩٤٩) ، ص ٣٥٤ : الزهري ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية ، مجلد ٢١ ، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠١ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان (باريس : ١٨٤٠) ، ص ١٢٣ .

١٤ ـ البكري ، المغرب ، ص ٢١ : ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق : محمد شمام (تونس : ١٩٦٧) ، ص ٣٠ .

١٥ ـ الحموي : ١ / ٢٢٨ ، وهو يرى انها تمتد من طرابلس الى بجاية او مليانة ، العمري ، وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب (تونس : بدون تاريخ) ، ص ٣ ، ابن ابي دينار ، ص ١٩ ، وقارن : عبدالواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقية والاندلس (بغداد ـ ميلانو : ١٩٨٢) ، ص ٤٧ .

١٦ ـ الزهري ، ص ٢٠٠ .

١٧ ـ السلاوي ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصري

ومحمد الناصري (الدار البيضاء : ١٩٥٤) : ١ / ٧١ .
١٨ ـ العمري ، ص ٢٥ .
١٩ ـ ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٠٢ .
٢٠ ـ ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١١ .
٢١ ـ احمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والاندلس (الاسكندرية : بدون تاريخ) ، ص ١٤ ، يحيى بو عزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر (بيروت : ١٩٦٥) : ١ / ١٥ .
٢٢ ـ احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت : ١٩٧٢) ، ص ٢٤٠ .
٢٣ ـ شارل اندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة : محمد مزالي والبشيربن سلامة (تونس : ١٩٨٥) : ٢ / ٩ ، ١٠ .
٢٤ ـ العبر : ٦ / ١٠٧ ، وانظر : موريس لومبار ، الاسلام في مجده الأول ، ترجمة : اسماعيل العربي (الجزائر : ١٩٨٤) ، ص ١٨ ، نعمت السعيد ، المغرب العربي (بغداد : ١٩٧٩) ، ص ١٠٧ ، ١٩ ، ٢٠ .
٢٥ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٥ ؛ جوليان ، المرجع السابق : ١ / ٣٦١ .
٢٦ ـ المرجع نفسه : ١ / ٣٦١ .
٢٧ ـ السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير (الاسكندرية : ١٩٦٦) ٢٠ / ٨١ .
Ch. Diehl, l'Afrique By Zantine, P.324 — 326.

(نقلاً عن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣) .
٢٨ ـ حسن حسني عبدالوهاب ، خلاصة تاريخ تونس (تونس : بدون تاريخ) ، ص ٣٢ ؛ ابراهيم احمد العدوي ، بلاد الجزائر ، تكوينها الاسلامي والعربي (القاهرة : ١٩٧٠) ، ص ٦٢ ، جوليان ، المرجع السابق : ١ / ٣٦٢ .
٢٩ ـ أحمد صفر ، مدنية المغرب العربي في التاريخ (تونس : ١٩٥٩) ؛ص ٣٩٥ ، محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب العربي (بدون مكان : ١٩٧٤) : ١ / ٤٤٣ ، جوليان ، المرجع السابق : ١ / ٣٦٢ .
٣٠ ـ صفر ، المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

٣١ ـ جوليان ، المرجع السابق : ١ / ٣٦١ ، السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (بيروت : ١٩٦٢) ، هامش رقم ١ ، ص ٢٢ .

٣٢ ـ راجع : عمر فروخ ، العرب والاسلام في الحوض العربي في البحر الأبيض المتوسط ، (بيروت : ١٩٥٩) ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

٣٣ ـ جوليان : المرجع السابق : ١ / ٣٦٦ ، صقر ، المرجع السابق ، ص ٣٩٦ ؛ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء : بدون تاريخ) : ١ / ٨٤ .

٣٤ ـ صقر ، المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .

٣٥ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، نشر تشارلس توري ، (نيوهيفن : ١٩٢٠) ، ص ١٨٣ ؛ ابن ابي دينار ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ جوليان ، المرجع السابق : ٢ / ١٠ .

٣٦ ـ عبداللطيف محمود البرغوثي ، تاريخ ليبيا الاسلامي ، من الفتح حتى بداية العصر العثماني (بيروت : ١٩٧١) ، ص ٣٢ .

٣٧ ـ محمد مصطفى بازامة ، تاريخ ليبيا (بيروت : بدون تاريخ) : ٨ / ٥٦ .

٣٨ ـ E.F. Gautier, Lepass, de Afrique de Nord, Paris, 1973. P.100.

(نقلاً عن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٥) .

٣٩ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص ٢١٨ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١١٩ ؛ السلاوي : ١ / ١٠٨ .

٤٠ ـ انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٥١ ؛ شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول (بيروت : ١٩٨٠) ، ص ١٨٠ ، حسن علي حسن ، تاريخ المغرب العربي (القاهرة : بدون تاريخ) ، ص ١٣ ، سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ١٣٣ ، احسان عباس ، تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري (بيروت : ١٩٦٧) ، ص ١٠ ، لقبال موسى ، المغرب الاسلامي (قسنطينة : ١٩٦٩) ، ص ١٥ .

٤١ ـ البكري ، المغرب ، ص ٥ .

٤٢ ـ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك (ليدن ، ١٨٨٩) ، ص ٨٦ ، البكري ، المغرب ، ص ١٧ .

٤٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

٤٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
والعقبة : تعني طريقاً في الجبل وعرة ، أو هي جبل طويل يتميز بالصعوبة والشدة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، (القاهرة : بدون تاريخ) : ٢ / ١١١٦ .
٤٥ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ : ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٨٩ .
٤٦ ـ المصدر نفسه : ٦ / ٨٩ .
٤٧ ـ جوليان : المرجع السابق : ١ / ١٢ ، صقر ، مدنية المغرب العربي من التاريخ ، ص ٣٤ ، ابن عبود ، تاريخ المغرب (تطوان : ١٩٥٧) : ١ / ٢٣ ، سهيل زكار ، عقبة بن نافع ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة الثالثة ، عدد ٣١ ، آيار ١٩٨١ ، ص ٢٢ .
٤٨ ـ ابن حبيب ، المحبّر (رواية ابي سعيد) (بيروت : بدون تاريخ) ، ص ٣٦٥ ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩٩ ، المسعودي ، مروج الذهب (بيروت : ١٩٧٣) : ٢ / ٩٥ : الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان والمغرب والاندلس (ليدن : ١٨٦٦) ، ص ٥٧ : ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (بيروت : بدون تاريخ) : ١ / ٣٨٤ : القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء (القاهرة : ١٩٦٣) : ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .
٤٩ ـ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٩٧ ، وللمزيد من المعلومات عن الاصول العربية للبربر راجع ، عثمان سعدي ، الاصول العربية للبربر ، مجلة آفاق عربية ، السنة الخامسة ، العدد ٩ ، آيار ١٩٨٠ ، ص ٦ ـ ٢٥ .
٥٠ ـ نبوز ، تاريخ المغرب الكبير : ١ / ٢٢٣ ، طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٥٢ .
٥١ ـ زكار ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .
٥٢ ـ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٨٩ .
٥٣ ـ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، وانظر :

Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Art BARANIS, and BUTR.

٥٤ ـ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٢٦ .
٥٥ ـ سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ١٢٩ ، ابراهيم احمد العدوي ، الامويون

والبيزنطيون ، (مصر : بدون تاريخ) ، ص ٣٣٥ .

٥٦ـ البكري ، المغرب ، ص ١٣ ، ١٦١ ، ابن خلدون ، العبر : ٦ / ٩٤

٥٧ـ المصدر نفسه : ٦ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

٥٨ـ المصدر نفسه : ٦ / ١٠٧ .

٥٩ـ ابن حوقل ، صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ص ٦٩ ، البكري ، المغرب ، ص ٥ ، الإستبصار ، ص ١٤٣ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٧ .

٦٠ـ البكري ، المغرب ، ص ٣٩ .

٦١ـ ابن حوقل ، ص ٩٨ ، البكري ، المغرب ، ص ٢٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، الزهري ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

٦٢ـ برقة : مدينة كبيرة وقديمة من بناء الروم ، تقع في صحراء حمراء التربة ، كانت قبل الفتح العربي الإسلامي تسمى انطابلس ، اي المدن الخمسة ، ولما فتحها العرب المسلمون سموها ببرقة ، لكثرة ما فيها من الحجارة المختلفة بالرمل .

انظر : الإستبصار ، ص ١٤٣ ، المراكشي ، ص ٣٤٧ ، ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا ، تحقيق : اسماعيل العربي (بيروت : ١٩٧٠) ، ص ١٤٧ ؛ العبدري ، رحلة العبدري ، تحقيق : محمد الفاسي (الرباط : ١٩٦٨) ، ص ٨٧ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٧ .

٦٣ـ الواقدي ، فتوح الشام (بيروت : بدون تاريخ) : ٢ / ٤٨ .

٦٤ـ المصدر نفسه : ٢ / ٤٧ ، وانظر :

Goodchild, R.G., By Zantines, Berbers and Arabs in 7th century Libya, Antiquity, Vol. 41, 1967, P.128.

فقد ذكر ان الوحدات العسكرية البيزنطية التي كانت موجودة في برقة تقلصت بسبب إرسال بعض المجموعات لمواجهة تقدم العرب في مصر .

٦٥ـ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٩٨ .

٦٦ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص ٢١٧ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، وانظر عنه : الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ص ١١٦ .

٦٧ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦١ ، ٩٣ ؛ وانظر : طه ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

٦٨ ـ الطبري : ٤ / ١٤٤ ؛ الكندي ، كتاب الولاة والقضاة ، مهذب ومصحح بقلم رفن كست (بيروت : ١٩٠٨) ، ص ٩ ، ١٠ ، الورتيلاني ، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار ، تحقيق : محمدبن ابي شلب (بيروت : ١٩٧٤) ، ص ٢٢ .

٦٩ ـ العبر : ٦ / ١١٦ .

٧٠ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، تحقيق : عبدالله انيس الطباع (بيروت : ١٩٦٤) ، ص ٢٩ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٥ : (ويذكر ان فتح الرقة جاء بعد حصار ومقاومة من قبل أهلها) ؛ البلخي ، صورة الاقاليم ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا للكلية الآداب ، رقم ٣٢٩ ، ورقة ٣٩ ؛ قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي (بغداد : ١٩٨١) ، ص ٣٤٢ .

٧١ ـ فتوح افريقيا والاندلس ، ص ٣٠ .

٧٢ ـ فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

٧٣ ـ طرابلس : مدينة كبيرة وقديمة ، تعني المدن الثلاث ، وتقع على ساحل البحر المتوسط ، يحيط بها سور عظيم مبني من الحجر الصلد ، خصبة وعامرة ، كثيرة الفواكه والخيرات ، يمارس معظم سكانها مهنة التجارة .
انظر : البلخي ، ورقة ٢٩ ، الاصطخري ، الأقاليم (جوته : ١٨٣٩) ، ص ٢٠ ، الادريسي ، ص ٥٤٨ ، الاستبصار ، ص ١١٠ ، القزويني ، ص ٤٠٨ .

٧٤ ـ اجدابية : مدينة كبيرة ، تقع في الصحراء بين برقة وطرابلس ، وتبعد عن البحر المتوسط اربعة اميال ، لها مرسىٰ يسمىٰ بالماحور ، تكثر فيها البساتين واشجار النخيل .
انظر : البكري ، المغرب ، ص ٥ ؛ الادريسي ، ص ١٣٢ ؛ الحموي : ١ / ١٠٠ .

٧٥ ـ المصدر نفسه : ١ / ١٠٠ ، وانظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٢ ؛ عباس ، تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ،

ص ٢١ .

٧٦ ـ انظر : ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٣٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٧ ؛ قدامة ، ص ٣٤٢ ؛ ابن عذاري : ١ / ٨ ؛ ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر (مصر : بدون تاريخ) : ١ / ١٦٤ ، التجاني ، رحلة التجاني ، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب (تونس : ١٩٥٨) ، ص ٢٣٩ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (النجف : ١٩٦٩) : ١ / ١٩٩ .

٧٧ ـ ابن عذاري : ١ / ٨ ؛ التجاني ، ص ٢٣٩ .

٧٨ ـ طه ، المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ١١٢ .

٧٩ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ؛ التجاني ، ص ٢٣٩ ؛ السلاوي : ١ / ٧٣ .

٨٠ ـ بسر بن ابي ارطأة : من بني عامربن لؤي بن غالب بن فهر ، يكنى بأبي عبدالرحمن ، مختلف في صحبته ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان من غلاة مؤيدي معاوية ، وشهد معه معركة صفين ، وكان معاوية قد وجهه الى اليمن والحجاز سنة ٤٠ هـ ، وقيل انه توفي في المدينة ايام معاوية بن أبي سفيان ، وقيل في الشام ايام عبدالملك بن مروان .

انظر : ابن عبدالبر : ١ / ١٥٧ ـ ١٦٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة : ١ / ١٧٩ ، ١٨٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء : ٣ / ٤٠٩ ، ٤١٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين (القاهرة : ١٩٣٣) : ٣ / ٦٣٣ ، ٦٣٤ .

٨١ ـ ودان : جزائر نخل متصلة . وعمارات كثيرة ، تقع جنوب مدينة صبرت .

انظر : الادريسي ، ص ١٣٣ ؛ الحموي : ٥ / ٣٦٦ ؛ ابن سعيد المغربي ، ص ١٢٧ .

٨٢ ـ قارن : بمؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٥٧ .

٨٣ ـ صبراته : مدينة قديمة وحصينة ، تقع بناحية طرابلس على ساحل البحر المتوسط . انظر : الحموي : ٣ / ١٨٤ ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس (بيروت : ١٩٧٥) ، ص ٣٥٤ .

٨٤ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ابن الاثير ،

الكامل : ٣ / ٣٦٠ ؛ التجاني ، ص ٢١٢ ، السلاوي : ١ / ٧٣ .
٨٥ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣ .
٨٦ـ البيان المغرب : ١ / ٨ .
٨٧ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣ .
٨٨ـ جون باجوت كلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ترجمة : خيري حماد
(بغداد : بدون تاريخ) ، ص ٤٦٣ ، حسين علي حسن ، تاريخ المغرب العربي
(القاهرة : بدون تاريخ) ، ص ٢٨ .
٨٩ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣ ؛ وانظر : محمد العروسي
المطوي ، سيرة القيروان (تونس : ١٩٨٦) ، ص ١٢ .
٩٠ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٦ ، الحموي : ٤ / ٤٢٠ ؛ النويري ،
نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٢ / ١٢ ، ق ٢ .
٩١ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٣ .
٩٢ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .
٩٣ـ ابن عبد الحكم ، فتوح إفريقية والأندلس ، ص ٣٤ ، أبو العرب ، طبقات
علماء إفريقية وتونس ، تحقيق : علي الشابي ، ونعيم حسن اليافي (تونس :
١٩٦٨) ، ص ٦٥ ؛ المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس
(القاهرة : ١٩٥١) ، ١ : / ٨ ؛ ابن عذاري : ١ / ٩ .
٩٤ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٨ ، أبو العرب ، ص ٦٦ ، ٦٧ ؛
النويري : ٢٣ / ٣ ، ق ٣ ؛ السلاوي : ١ / ٧٠-٥ .
٩٥ـ أبو العرب ، ص ٦٩ ، المالكي : ١ / ١٠ ؛ النويري : ٢٣ / ٣ ، ق ٣ ؛
ويقارن : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٢ .
٩٦ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٨ ، أبو العرب ، ص ٦٨ ؛ قدامة ،
ص ٣٤٣ ، ابن عذاري : ١ / ٩ ؛ النويري : ٢٣ / ٣ ، ٣٠ ، ق ٣ .
٩٧ـ الطبري : ٤ / ٢٥٦ ، البداية والنهاية في التاريخ (بيروت : ١٩٧٤) :
٧ / ١٥٣ ؛ وانظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٣ ، ١١٤ .
٩٨ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٧ (ويذكر بأن هذه الحملة حدثت سنة
٢٧ هـ ، ويقال سنة ٢٨ هـ أو ٢٩ هـ) ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،

تحقيق : محمد صادق آل بحر العلوم (النجف : ١٩٧٢) : ٢ / ١٥٣ ، الطبري : ٤ / ٢٥٣ (ويضيف أن ابن أبي سرح قام بحملة سابقة لافريقية سنة ٢٥ هـ) ؛ المالكي : ١ / ١٠ ، ابن عذاري : ١ / ٩ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت : بدون تاريخ) : ١ / ٣٦ .

٩٩ ـ قابس : مدينة كبيرة قديمة ، تقع على ساحل البحر المتوسط ، تحف بها الغابات من جميع جهاتها ، كثيرة البساتين والمزارع ، لها أرباض واسعة ، وأسواق عامرة ، يكثر فيها الصوف ، وصناعة الحرير ، وبيع الجلود ، ويحيطها سور وخندق ، يملأ بالماء في حالة تعرضهم لأي هجوم ؛ انظر : ابن حوقل ، ص ٧٢ ؛ الادريسي ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ الاستبصار ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ، التجاني ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .

١٠٠ ـ عبد الله صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٢١٦ ؛ النويري ، ٢٢ / ٤ ، ق ٢ .

١٠١ ـ سبيطلة : مدينة من مدن افريقية ، وكانت بمثابة عاصمة لها ، بدلاً من قرطاجنة ، لأنها مقر الحاكم البيزنطي جرجير ، وهي مدينة حسنة المنظر ، كبيرة الحجم ، كثيرة المياه والبساتين والجنان . انظر : الادريسي ، ص ١١٠ ، الحموي : ٣ / ١٨٧ .

١٠٢ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٦ .

١٠٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ ، ابن أعثم الكوفي ، الفتوح (حيدر آباد : ١٩٦٩) : ٢ / ١٣٥ ، قدامة ، ص ٣٤٤ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٢ / ١٢٩ .

١٠٤ ـ ابن الأثير : الكامل : ٣ / ٨٨ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٠٧ .

١٠٥ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ ، قدامة ، ص ٣٤٤ ؛ النويري : ٢٢ / ٤ ، ق ٢ .

١٠٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٣ ، ابن أعثم الكوفي : ٢ / ١٣٥ ، الدباغ ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، اكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق : ابراهيم شبوح (مصر : ١٩٦٨) : ١ / ٤٠ ؛ النويري : ٢٢ / ٤ ، ق ٢ .

السلاوي : ١ / ٧٥ .

١٠٧ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٦ ، قدامه ، ص ٣٤٤ ، المالكي : ١ / ١٢ ، ١٣ ؛ ابن عذاري : ١ / ١٢ ، ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٠٨ .

١٠٨ ـ المالكي : ١ / ١٣ ، ابن عذاري : ١ / ١٢ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٢ / ١٢٩ ؛ النويري : ٢٢ / ٧ ، قد ٢ .

وقفصه : احدى مدن بلاد الجريد ، وهي مدينة كبيرة وقديمة في بنائها ، يحيط بها سور حصين ، مبني من الصخر ، تقع وسط الطريق بين قابس والقيروان ، وتشتهر بكثرة نخيلها وزيتونها ، انظر : الاستبصار ، ص ١٥٠ ؛ الانصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك : ١٩٢٣) ، ص ٢٣٨ ؛ العمري ، ص ٦ .

١٠٩ ـ النويري : ٢٢ / ٧ ، قد ٢ ، الحميري ، ص ٥٤٠ .

ومرمجانة : قرية بافريقية لقبيلة هوارة البربرية ، تكثر فيها الاسواق الحسنة ، ويذكر انها كانت مدينة كبيرة قديمة ، فيها آثار للاولى ، وبها عيون كثيرة ، وهي ذات خيرات وفيرة : ابن حوقل ، ص ٨٤ ، الحموي : ٥ / ١٠٩ ، الحميري ، ص ٥٤٠ .

١١٠ ـ حصن الاجم : او مايطلق عليه بقصر الجم او قصر الكاهنة ، وهو من اعظم واقدم حصون افريقية ، وكان مبنياً على شكل مستدير من صخور منحوتة ومحكمة الوضع ، يبلغ ارتفاعه مائة ذراع ، انظر : البكري ، المغرب ، ص ٣٧ ، العبدري ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ الاندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق : محمد الحبيب السهيلة (تونس : ١٩٧٠) : ١ / ٣٢ ، قد ٢ ؛ الحميري ، ص ١٣ .

١١١ ـ التجاني ، ص ٥٨ ، ابن خلدون ، العبر) ٢ / ١٢٩ ، النويري : ٢٢ / ٧ ، قد ٢ ، السلاوي : ١ / ٧٦ .

١١٢ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨ ، ٢٢٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٥٤ ، (ويذكر ان مقدار الجزية كانت « ٢,٥٢٠,٠٠٠ » دينار) ، ويتفق معه كل من الطبري : ٤ / ٢٥٦ ؛ ابن اعثم الكوفي : ٢ / ١٣٦ ؛ ابن

الاثـير ، الكامـل : ٣ / ٤٤ ؛ ابن كثير ، البـدايـة والنهـايـة (بيـروت : ١٩٧٤) : ٧ / ١٥٢ (ويذكر ان ابن ابي سرح صالح بطريق افريقية على (٢,٢٠,٠٠٠ دينـار) ، ابن خلدون ، العبـر : ٢ / ١٢٩ ؛ النـويـري : ٢٢ / ٧ ، قد ٢ .

١١٣ ـ البـلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ ، الطبـري : ٤ / ٢٥٦ ؛ قدامـه ، ص ٣٤٤ .

١١٤ ـ قرطاج : مدينة قديمة من بنيان الفينقيين ، تقع على البحر المتوسط ، ويحيط بها سور عظيم ، تحوي على الكثير من الآثار العظيمة ، وعجائب البنيان .
انظر : الاستبصار ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ الزهري ، ص ٩٩ ؛ ابن عذاري : ١ / ٣٤ ، ٣٥ .

١١٥ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٩٩ .

١١٦ ـ المالكي : ١ / ١٧ ؛ الدباغ : ١ / ٤٢ ؛ وانظر : محمد محمد زيتون ، الفتح الاسلامي لشمال افريقية ، مجلة المؤرخ العربي ، العـدد السادس عشر ، القسم الأول ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

١١٧ ـ طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٥ .

١١٨ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٧ ؛ ابو العرب ، ص ٧١ ، ٧٢ ؛ الكندي ، ص ١٢ ؛ ابوطاهـر المقدسي ، البـدء والتاريـخ (شالون : ١٩١٦) : ٥ / ١٩٩ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبـر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (الكويت : ١٩٦٠) : ١ / ٢٩ ، ابن كثير : ٧ / ١٥٢ .

١١٩ ـ المالكي : ١ / ١٧ ، ابن عذاري : ١ / ١٣ .

١٢٠ ـ النويري : ٢٢ / ٨ ، قد ٢ ، السلاوي : ١ / ٧٦ .

١٢١ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٢٩ ؛ قدامة ، ص ٣٤٤ .

١٢٢ ـ المالكي : ١ / ١٣ ، ابن عذاري : ١ / ١٢ ، وقارن : جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية : ٢ / ١٧ ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس (القاهرة : ١٩٥٩) ، ص ٣٧ .

١٢٣ ـ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٠٨ ؛ السلاوي : ١ / ٧٦ .

١٢٤ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغـرب ، ص ٢٢٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

الكندي ، ص ١٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٣ / ١١٧ ، ١١٨ (ويضيف ايضاً ان هذه الحملة حدثت سنة ٣١ هـ) .

١٢٥ ـ ابن عذاري : ١ / ١٥ .

١٢٦ ـ الكندي ، ص ٣١ ، ٣٢ .

١٢٧ ـ انظر : ابن الاثير ، الكامل : ٣ (احداث سنة ٤١ هـ) .

١٢٨ ـ الكندي ، ص ٣٢ .

١٢٩ ـ الكندي ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (بدون مكان : ١٩٧٩) : ١ / ٥٨٥ .

١٣٠ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ؛ الكندي ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ؛ وقارن : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٦ . و (خربتا) قرية تقع على الحدود الصحراوية الغربية للدلتا .

١٣١ ـ المالكي : ١ / ١٧ ، ابن عذاري : ١ / ١٦ ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر : ١ / ٤٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ٦ / ١٠٨ ، ابن العماد : ١ / ٥٤ ، السلاوي : ١ / ٧٧ .

١٣٢ ـ ابن الاثير ، الكامل : ٣ / ٩١ ، ٩٢ ، ابن عذاري : ١ / ١٧ ، النويري : ٢٢ / ٩ ، ق ٢ ، السلاوي : ١ / ٧٦ ، ٧٧ .

١٣٣ ـ الكندي ، ص ٢١ ؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٧ .

١٣٤ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص ١٩٣ ، المالكي : ١ / ١٨ ؛ الدباغ : ١ / ٤٣ ؛ ابن عذاري : ١ / ١٦ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٢٧ ، ٢٨ ؛ النويري : ٢٢ / ٩ ، ق ٢ .

١٣٥ ـ الادريسي : ١ / ٢٧٤ ، ق ٢ ، التجاني ، ص ٢٣٤ .

١٣٦ ـ ابن عذاري : ١ / ١٦ ؛ النويري : ٢٢ / ٩ ، ق ٢ .

١٣٧ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٤٧ ، ٤٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٣ / ٩٢ ؛ المالكي : ١ / ١٨ ؛ الدباغ : ١ / ٤٣ .

١٣٨ ـ المالكي : ١ / ١٨ ؛ الدباغ : ١ / ٤٣ ؛ النويري : ٢٢ / ٩ ، ق ٢ .

١٣٩ ـ ابن عذاري : ١ / ١٦ ؛ النويري : ٢٢ / ٩ ؛ ق ٢ ، السلاوي : ١ / ٧٧ .

١٤٠ ـ سوسة : مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط الذي يحيط بها من ثلاث

جيجلت . أسسها الفينيقيون في القرن التاسع قبل الميلاد . وهي مدينة حصينة . يحيط بها سور منيع . يمارس أهلها مهنة التجارة بشكل رئيس . وهم مشهورون بجودة صناعتهم للملابس المنسوجة إلى مدينتهم . والتي تعرف بالملابس السوسية .

انظر ابن عبد الحكم . فتوح مصر والمغرب . ص ۲۲۹ هامش رقم ۳ ؛ الإدريسي . ص ۱۳۵ ؛ الاستبصار . ص ۱۱۹ ؛ العبدري . ص ۲۳۸ ؛ الأنصاري . ص ۲۳۵ .

١٤١ ـ البكري . المغرب . ص ٣٤ ـ ٣٥ ؛ الأندلسي : ١ / ٣٠٠ . ق ٣ ؛ النويري : ٣٣ / ٩٠ . ق ٣ .

١٤٢ ـ جلولاء : مدينة صغيرة وقديمة . لها حصن يحيط بها سور . تجري في وسطها عين ماء . تكثر فيها البساتين وأشجار الفاكهة والنخيل . وتشتهر بكثرة العسل المشهور بطيب مذاقه .

انظر : ابن حوقل . ص ٨٦ ؛ الإدريسي . ص ١٣٠ ؛ الاستبصار . ص ١١٩ .

١٤٣ ـ جوليان . تاريخ إفريقيا الشمالية : ٢ / ٣٦٣ .

١٤٤ ـ المالكي : ١ / ١٩ (يذكر بأن هذه الحملة حدثت في سنة ٥٠ هـ) ؛ الدباغ : ١ / ٤٥ ؛ السلاوي : ١ / ٧٨ ؛ أما بنزرت فهي مدينة تقع على البحر المتوسط . لها قلاع حصينة . عامرة بالأزقة والأسواق . مشهورة ببحيراتها المنسوبة إليها (بحيرة بنزرت) المشهورة باحتوائها على أنواع كثيرة من السمك . انظر : المراكشي . ص ٣٥٢ ؛ الإدريسي . ص ١١٤ ؛ القزويني . ص ١٥٩ .

١٤٥ ـ ابن عذاري : ١ / ١٨ ؛ ابن أبي دينار . ص ٣٩ .

١٤٦ ـ انظر : طه . الفتح والاستقرار . ص ١١٨ .

١٤٧ ـ ابن عذاري : ١ / ١٨ ؛ النويري : ٢٢ / ١٠ . ق ٣ . الدباغ : ١ / ٤٥ ؛ السلاوي : ١ / ٧٨ .

١٤٨ ـ إبراهيم بيضون . الدولة العربية في إسبانيا . من الفتح حتى سقوط الخلافة (بيروت : ١٩٨٠) . ص ٣١ ؛ وقارن : مؤنس . فتح العرب للمغرب . ص ١٣٦ .

١٤٩ ـ ابن عبد الحكم . فتوح مصر والمغرب . ص ٢٣٠ ؛ البلاذري . فتوح

البلدان ، ص ٢٦٦ ؛ الطبري : ٤ / ١٤٤ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٠ ، الورتيلاني ، ص ٢٢١ ؛ الاستبصار ، ص ١٤٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٢٠ .

١٥٠ ـ المصدر نفسه : ٣ / ٨٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٢ / ١٢٩ ؛ السلاوي : ١ / ٧٥ .

١٥١ ـ الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٦٥ .

١٥٢ ـ ابن عذاري : ١ / ١٥ .

١٥٣ ـ الكندي ، ص ٣٢ ، ابن عبدالبر : ٣ / ١٠٧٥ ، ابن الأثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٢٠ ، ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، السلاوي : ١ / ٧٨ .

١٥٤ ـ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفةبن خياط ، برواية تقي بن مخلد ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق : ١٩٦٧) : ١ / ٢٣٧ ؛ ابن عبدالبر : ٣ / ١٠٧٦ ، ابن الأثير ، أسد الغابة : ٣ / ٤٢٠ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٠ ؛ السلاوي : ١ / ٧٨ .

وغدامس : مدينة قديمة تقع في الصحراء على بعد ٥٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس ، كثيرة النخل ، واكثر طعام اهلها التمر والكمأة . ويعتمد اكثر سكانها في معيشتهم على التجارة مع طرابلس وافريقية والسودان ومصر ، فهي مشهورة بتجارة الجلود الغدامسية المنسوبة اليها .

انظر : البكري ، المغرب ، ص ١٨٢ ؛ الاستبصار ، ص ١٤٥ ، ابن سعيد المغربي ، ص ١٢٧ ؛ الحميري ، ص ٤٢٧ ، زيتون ، الفتح الاسلامي لشمال افريقيا ، ص ٦٢ ، هامش رقم (١) .

١٥٥ ـ الكندي ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

١٥٦ ـ ابن خياط : ١ / ٢٣٨ ؛ ابن عبدالبر : ٣ / ١٠٧٦ ، ابن الأثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٢٠ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ؛ ابن العماد : ١ / ٥٣ ؛ السلاوي : ١ / ٧٨ .

١٥٧ ـ انظر : فيما سبق ، ص ٣٣ ـ الى ٣٦ .

١٥٨ ـ انظر : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ؛ المغرب ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

١٥٩ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٢ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٣ ؛ الحموي : ٥ / ٣٦٦ .

١٦٠ ـ فزان : تقع شرقي مدينة ودان ، وهي جزائر نخل ومياه ، تنتشر فيها الواحات التي تعد امتداداً لواحات القسم الأوسط في الصحراء الكبرىٰ : انظر : ابن‌سعيد المغربي ، ص ١٢٧ ؛ الحميري ، ص ٤٤٠ .

١٦١ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، البكري ، المغرب ، ص ١٣ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٠ .

١٦٢ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٣ ، البكري ، المغرب ، ص ١٣ .

١٦٣ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٣ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٣ ، الاستبصار ، ص ١٤٦ .

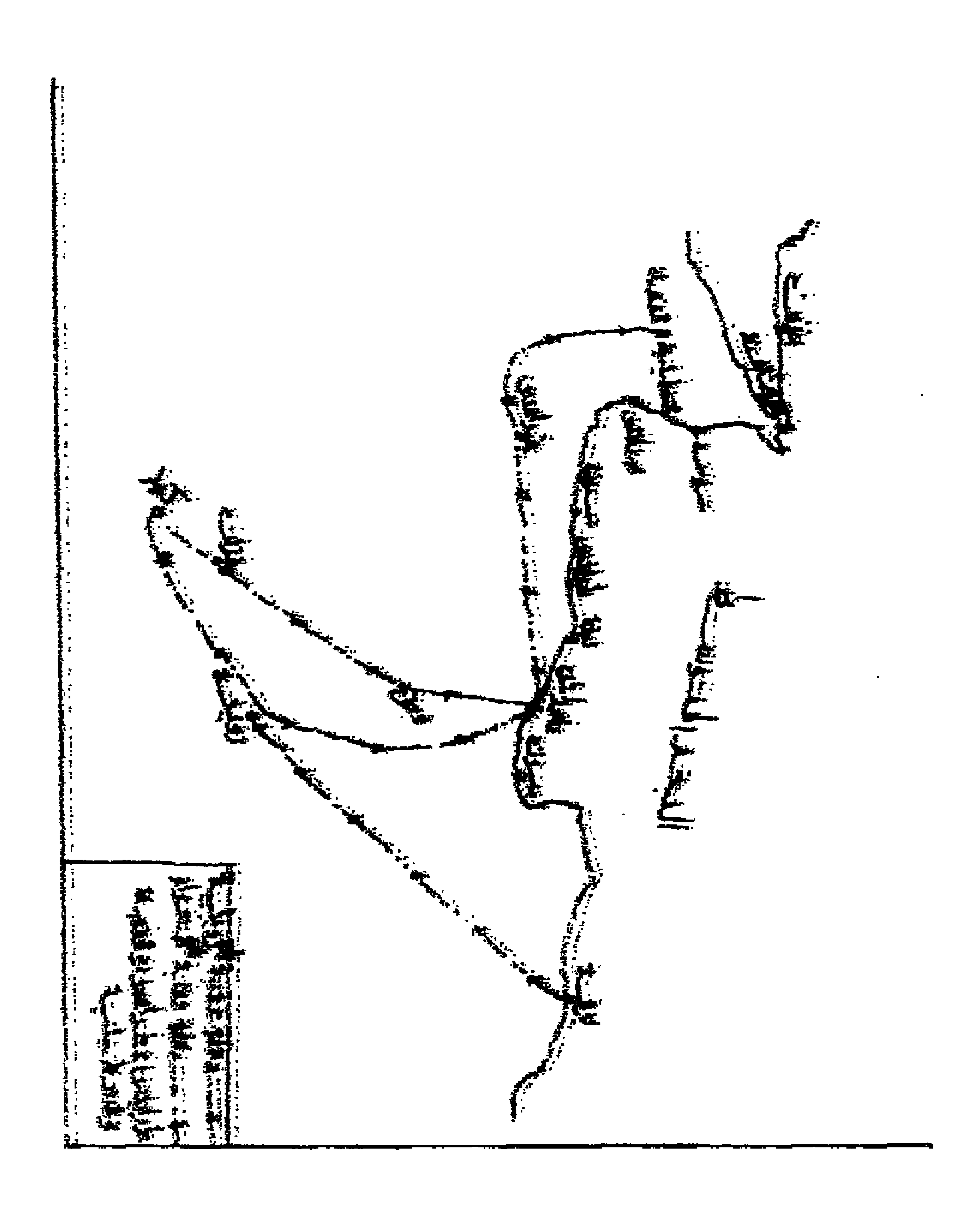
١٦٤ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٣ ، البكري ، المغرب ، ص ١٣ ؛ الاستبصار ، ص ١٤٦ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٠ .

١٦٥ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٤ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٣ ، الاستبصار ، ص ١٤٧ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٠ .

١٦٦ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٤ .

١٦٧ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٦٤ ، البكري ، المغرب ، ص ١٤ ؛ الاستبصار ، ص ١٤٧ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٠ .
وقسطيلية : احدىٰ مدن بلاد الزاب ، او ماتسمىٰ ببلاد الجريد ، تقع على حدود الصحراء ، ويطلق عليها ايضاً اسم (توزر) ، وهي مدينة كبيرة قديمة ، لها سور حصين ، وحولها أرباض واسعة ، وهي اكثر بلاد الزاب تمراً ، يصدر منها الى جميع بلاد افريقية ، وتكثر فيها اشجار الفواكه ، وزراعة انواع البقول . انظر : الادريسي ، ص ١٠٤ ، الورتيلاني ، ص ١٢٢ ؛ الاستبصار ، ص ١٥٥ ، المراكشي ، ص ٣٥٥ .

١٦٨ ـ ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٥ ؛ الحموي : ٤ / ٤٢٠ ، النويري : ٢٢ / ١٠ ، ١١ ، قد ٢ .



الفصل الثاني

ولاية عقبة بن نافع الأولى

وبناء مدينة القيروان

ابتدأت ولاية عقبة بن نافع على افريقية سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م[١] .
ولم يأت اختياره من قبل الخليفة معاوية بن ابي سفيان لهذا المنصب اعتباطاً ، فقد كان لبقاء عقبة في برقة اكثر من ربع قرن ، منذ ان فتحت على يد عمروبن العاص ، وماقام به من حملات لاخضاع السكان المحليين ، وبذله الجهود الكبيرة في سبيل تحويلهم الى الاسلام ، اثر كبير في تعرفه على تلك المنطقة ، وعلى طبيعة سكانها وأحوالهم ، وفي الوقت نفسه فقد برهنت تلك التجربة على قدرته وكفاءته ، بما قدمه من خدمات جليلة للاسلام والعروبة ، ان هذه الميزات مجتمعة كانت هي السبب في لفت نظر الخليفة واختياره لهذا المنصب .

وفور تسلم عقبة بن نافع لأمر تعيينه سار من معسكره بمغمداش بجيش كبير يتألف من :

١ ـ المدد الذي ارسله الخليفة معاوية ، والذي بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل[٢] ، وتشير بعض الروايات الى ان هؤلاء كانوا من الجند السوريين ، لكن هذا غير محتمل ، لأن معظم جيش عقبة كان يتكون من رجال القبائل العربية في مصر ، وبالدرجة الأولى من اولئك الذين دخلوا من عمروبن العاص لأول مرة[٣] .

٢ ـ الجيش الذي كان مرابطاً معه في معسكر مغمداش .

٣ ـ السكان المحليين الذين اسلموا ، فانضموا الى جيش العرب المسلمين[٤] ، وربما كانوا من قبيلة (لواته البترية) ، المنتشرة في برقة وطرابلس ، وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على الجهود الكبيرة التي بذلها عقبة في سبيل نشر الاسلام ، بين صفوف قبائل البربر ، وضمهم الى جانب العرب المسلمين[٥] .

سار عقبة متوجهاً نحو المغرب ، متجنباً الطريق الساحلية المعروفة بـ (الطريق الأعظم)[6] ، أو (الجادة)[7] ، وربما كان الدافع وراء ذلك كثرة الحصون والقلاع البيزنطية على الشريط الساحلي ، أو ربما كان يستهدف مباغتة القبائل المعادية ، وتضييع فرصة الاستعداد عليهم لمقاومة العرب الفاتحين ، لأنه اذا سلك الطريق الصحراوية لا يمكن أن تصل أخبار حملته الى أهل افريقية ، بمثل سرعة وصولها اليهم فيما لو سلك الطريق الساحلية ، وبذلك يتسنى له اخضاعهم بسهولة[8] .

فضلاً عن ذلك فان هدفه من هذه الحملة ، كان بناء قاعدة ثابتة للعرب المسلمين الفاتحين ، لذلك آثر أن يوجه جميع جهوده لتحقيق هذا الهدف أولاً ، قبل الالتفاف نحو البيزنطيين ، للقضاء على نفوذهم وسلطتهم في الساحل .

ويقول ابن الاثير أن عقبة قاتل أهل البلاد ، « لأنهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا ، وأظهر بعضهم الاسلام ، فاذا عاد الأمير عنهم نكثوا ، وارتد من أسلم »[9] ، وهذا يعني انه قام باعادة اخضاع (قفصة) و (قسطيلية) اللتين كان قد فتحهما بعد حملته في صحراوي (فزان) و (ودان) كما ذكرنا آنفاً .

وقد خدمته الظروف في ذلك ، فقد كان البيزنطيون مشغولين في ذلك الوقت بالدفاع عن القسطنطينية ضد الهجمات العربية التي كانت تستهدف فتحها[10] ، فضلاً عن ذلك فان الامبراطور قسطنطين الرابع Castantine IV (٦٦٨ ـ ٦٨٨ م) كان مشغولاً بالدفاع عن عرشه بوجه أحد المتمردين في صقلية ، مما اضطره الى سحب معظم قواته الموجودة في افريقية[11] ، وقد مهد هذا الأمر لعقبة تحرير الجنوب التونسي ، في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ،

وبناء مدينة القيروان ، دون أن يلاقي أية مقاومة .

أولاً : بناء مدينة القـــيروان :

تعد ولاية عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، حداً فاصلاً بين عهد الحملات الاستطلاعية ، والفتح المنظم للمغرب ، فقد كانت جميع جهود المسلمين في فتوحاتهم تذهب سدى ، من دون أي أثر ملموس ، منذ عهد عمرو بن العاص الى عهد معاوية بن حديج ، لانه لم يكن يتبع تلك الجهود ثبات واستقرار في تلك المناطق المفتوحة ، بل اقتصرت تلك الجهود على التعرف على طبيعة المنطقة ومسالكها واحوال سكانها ، من دون الانتقال في اراضيها ، ثم العودة السريعة ، بعد انتهاء عمليات الاستطلاع ، مكتفين بما حصلوا عليه من غنائم ومعلومات . وما ان يعود العرب من تلك المناطق ، حتى يعود اهلها الى التمرد ونقض العهود ، وكان السبب الذي يدعو العرب الفاتحين الى الانسحاب ، والاسراع بالعودة الى المشرق ، والالتحاق بمراكزهم وقواعدهم في مصر ، هو أنه لم يكن لهم يومئذ في المغرب معقل حصين يحميهم ، ولامدينة خاصة بهم تكون مركزاً لامداداتهم ، ومرجعاً لهم يلتجئون اليه ، بعد المعارك لاستراحتهم ، واستجماع قواتهم ، وتضميد جراحهم ، وتجديد قوتهم وأسلحتهم .

وقد أشار البلاذري الى ذلك بقوله : « لما صالح عبدالله بن سعد بطريق افريقية ، رجع الى مصر ، ولم يول على افريقية أحداً ، ولم يكن لها يومئذ قيروان ، ولامصر جامع »[٢٢] ، لقد أدرك عقبة بن نافع بخبرته الواسعة في شمال افريقيا ، ومعايشته للأحداث ، انه لايمكن للعرب المسلمين ان يثبتوا أقدامهم ، وينشروا الاسلام الا بوجودهم الثابت والمستمر في المنطقة ،

ويؤيد هذه الحقيقة ماذكره ابن عذاري من ان عقبة خطب في عسكره ، فقال : « ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها ، رجع من كان أجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فأرىٰ لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر »[١٣] .

ويبدو ان عقبة استفاد من خطوة معاوية بن حديج في اتخاذه معسكراً ليكون مستقراً لقواته ، وقاعدة لانطلافها ؛ ويشير ابن عبد الحكم الى اجراء معاوية بن حديج هذا بقوله أنه : « ... اتخذ قيرواناً عند القرن ، فلم يزل فيه حتى خرج الى مصر »[١٤] . وذكر المالكي : « ... اختط [ابن حديج] مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، وأقام بها مدة اقامته بافريقية ، وحفر آباراً عند باب تونس ، في ناحية الجبل ، منه منحرفة للشرق ، بالقرب من مصلىٰ الجنائز ، تسمىٰ للآن آبار حديج ، غلب عليها اسم ابيه حديج ، وذلك قبل تأسيس القيروان »[١٥] .

ومن هنا نرى ان معاوية بن حديج كان اول من فكر في ايجاد معسكر ومدينة يستقر فيها الجيش العربي ، ثم جاء عقبة بن نافع فحوّل هذه الفكرة الى واقع عملي ببنائه لمدينة القيروان .

أ ـ تسمية المدينة :

تعدد مدلول لفظ القيروان ، فقيل هي القافلة[١٦] ، او الجيش[١٧] ، وقد تكلمت بها العرب قديماً ، من ذلك قول الشاعر امرؤ القيس :

وغارة ذاتُ قيروانٍ

كأن اسرابها الرعال[١٨]

ويذكر ياقوت الحموي أيضاً : ان لفظ القيروان معرب ، وهو من (كاروان)[١٩] ؛ اما الدكتور حسين مؤنس فيرىٰ بان اصل اللفظ بربري

وهو تحريف للفظة (يتكروان)[٢٠] .

ولكن الأصح ان اصل اللفظ هو عربي ، كما اشرنا الى ذلك في اعلاه .

ب ـ اسباب بناء القيروان :

حرص العرب المسلمون على اتخاذ معسكرات لتثبيت اقدامهم في المناطق التي حرروها ، لكنهم في الوقت نفسه لم يفضلوا الاقامة في المدن والقلاع الساسانية والبيزنطية فشيدوا في العراق البصرة والكوفة ، وفي مصر الفسطاط ، وقد حذا عقبة بن نافع حذو قادة تحرير العراق وبلاد الشام ، وذلك ببنائه مدينة القيروان .

ونستطيع ان نحصر أسباب بناء القيروان بعاملين أساسيين هما :

١ ـ العامل العسكري :

كان هدف عقبة بن نافع من بناء القيروان هو جعلها معقلاً حصيناً لحماية الجيش العربي الاسلامي من هجمات العدو ، ومن أجل الاحتماء بها في حالة اضطرارهم الى التراجع والانسحاب للدفاع عن انفسهم ، ويؤيد هذا قول عقبة لأصحابه عند بنائه القيروان : « هذه حصن لكم من روم قسطنطينة ، وافرنج الجزيرة الخضراء »[٢١] ، وقد اشار ابن الأثير ايضاً الى اهميتها في حماية الجند ، من اي تمرد قد يقوم به السكان المحليون على العرب[٢٢] .

ومن الأهداف الأخرى لبناء القيروان استخدامها قاعدة عسكرية[٢٣] ، لانطلاق الجيوش في فتوحات جديدة ، وكذلك من أجل ان تكون مأوىً لهم في حالة انتهاء المعارك العسكرية للاستراحة ، وتضميد الجرحى ، واعادة تنظيم صفوف الجيش من جديد ، وحتى تكون أيضاً مركزاً قريباً لامدادات الجيش بالجند والمؤن ، فقد كان العرب في السابق

يتوغلون في فتوحاتهم في مناطق واسعة من المغرب ، فيبتعدون كثيراً عن مراكز امداداتهم وتموينهم في مصر والشام ، وكان هذا الأمر يعرضهم باستمرار للمضايقة من جانب العدو ، مما يضطرهم الى الانسحاب ، لهذا كان لابد من أجل المحافظة على خطوط مواصلات الجيش العربي الاسلامي وامداداته في توغله داخل المغرب من انشاء قاعدة عسكرية ثابتة ، تكون مركزاً للتموين بالرجال والمعدات[٣٤] .

٢ ـ العامل الديني :

انشئت القيروان ايضاً لتكون مركزاً لنشر الاسلام وآداب العرب ولغتهم وثقافتهم بين السكان المحليين ، في شمال افريقيا ، لأن هؤلاء في مرحلة الفتوحات السابقة لم يتح لهم الوقت الكافي للتعرف على الدين الاسلامي ، وتفهم مبادئه واصوله ، فكانوا يرتدون عن الاسلام ، في حالة انسحاب العرب عن اراضيهم ، وقد عبّر عقبة عن هذه الحالة بقوله : « ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فأرى لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر »[٣٥] .

لهذا فبناء المدينة ، واستقرار الفاتحين فيها سوف يكون سبباً في اختلاطهم وتعايشهم وتعاملهم مع السكان المحليين ، مما يؤدي بعدئذ الى التقارب بين الجانبين ، وازالة الحواجز النفسية التي يمكن ان تنشأ بينهم ، ومع مرور الوقت ، سيجد الفاتحون فرصاً اكثر من السابق في سبيل بث الدعوة الاسلامية ، ومبادىء الدين الجديد ، بين صفوف السكان المحليين ، ودعوتهم للتحول الى الدين الاسلامي بشرحهم لمبادئه واصوله في

التوحيد ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وسوف يؤدي هذا الى جذب البربر نحو العرب المسلمين ، واقبالهم على الدخول في الدين الاسلامي على مراحل زمنية متعاقبة .

جـ ـ تمصير القيروان :

١ ـ اختيار موضع القيروان :

من الملاحظ في بناء المدن العربية الاسلامية التي تم انشاؤها في السابق ، مثل البصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، انها كانت تتم بأمر وتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بعد تحريات واستطلاعات كان يقوم بها القادة الذين يؤمرون بتشييد تلك المدن[٣٢] .

ولكن الأمر اختلف بالنسبة الى القيروان ، فلم يصل الينا مايشير الى وجود أوامر وتوجيهات من الخليفة الأموي بشأن تأسيس هذه المدينة ، ويبدو ان الخليفة الأموي قد ترك أمر بنائها الى تصور القائد عقبة بن نافع ، لاتخاذ مايراه من خطوات مناسبة ، يجب القيام بها في هذا المجال ، ولم يأت اختيار موضع القيروان من قبل عقبة بن نافع عشوائياً ، أو كان من قبيل الصدفة ، بل جاء ضمن نظرة فاحصة ودقيقة ، وبعد بحث وتفتيش ، وقد اعتمد في ذلك على عاملين مهمين هما :

أ ـ العامل العسكري الأمني :

حرص عقبة على جعل القيروان بعيدة عن الساحل ، من اجل ضمان سلامتها ، لأنه كان يخشى ان يهاجمها البيزنطيون بأساطيلهم على غفلة من أمرها ، فتتعرض الغزو بسهولة ، بينما لو كانت في الداخل فسيكون للفاتحين الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمواجهة العدو ، وصد هجماته

وقد اشار ابن عذاري الى ذلك ، وذكر ان اصحاب عقبة اشاروا عليه بأن يقربها من البحر ، حتىٰ يتم لهم الجهاد والرباط ، فرد عقبة عليهم بقوله : « اني اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة ، فيملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالايدركها صاحب البحر ، الا وقد علم به ، واذا كان بينها وبين البحر مالايوجب فيه التقصير للصلاة ، فهم مرابطون »[٢٧] .

وربما كان الدافع الذي حدا بعقبة لاختيار القيروان بعيداً عن الساحل ، هو تأثره أيضاً بما تعرضت له الاسكندرية سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م ، من هجمات الاسطول البيزنطي في البحر ، للسيطرة عليها ، ومابذله عمروبن العاص من جهود كبيرة في سبيل استردادها[٢٨] فضلاً عن ذلك فان عقبة اراد ان يجعل القيروان بين قبائل السكان المحليين ، ووسط بلادهم[٢٩] ، لأنهم كانوا يمثلون القوة الرئيسية في البلاد ، من اجل احتوائهم ، ونشر الاسلام بينهم ، وجذبهم نحو العرب المسلمين[٣٠] .

ب ـ العامل الجغرافي :

ويتمثل بجانبين ، الأول موضع القيروان[٣١] ، والثاني موقعها[٣٢] ، وقد أكد عقبة على هذا العامل ، وحرص على اختيار بيئة مشابهة للبيئة التي خرج منها العرب ، حتىٰ لايشعروا بالغربة ، وليحافظوا على مزاجهم العربي وحيويتهم ، ونشاطهم[٣٣] ، فقد أسس عقبة مدينته في سهل فسيح يكاد يكون صحراوياً ، وفيه شيء من الخصب ، صالح لرعي الأبل ، التي تكون مصدراً لرزقهم ومعيشتهم[٣٤] . فالصحراء معرفة لدىٰ العرب ، ومسخرة لهم للعيش والتنقل فيها ، دون اعدائهم ، وهي ملاذ أمين لهم ، في حالة تقهقرهم ، وتعرضهم لأي خطر من قبل العدو[٣٥] .

وقد حدد عقبة الاتجاه الذي يمكن للعرب المسلمين ان يقيموا فيه مدينتهم ، حيث قال : « قرّبوها من السبخة ، فان دوابكم الأبل ، وهي التي تحمل اثقالكم ، فاذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد ، حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول ، وتكون ابلنا على باب قصرنا ، في مراعيها آمنة ، من عادية البربر والنصارىٰ »[٣٦] .

وقد اشار البكري الى موقع القيروان ، اي المناطق المحيطة بها ، فذكر ان القروان تقع : « في بساط من الأرض ، مديد من الجوف منها بحر تونس ، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية ، وفي القبلة بحر اسفاقس ، وقابس ، وأقر بها منها البحر الشرقي ، بينها وبينه مسيرة يوم ، وبينها وبين الجبل مسيرة يوم . وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ، وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف »[٣٧] . ويبدو أن الأراضي المحيطة بموضع القيروان كانت تشتمل على أراضٍ طيبة وكريمة ، أفضلها كما قال البكري ، الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدّرارة[٣٨] ، الذي يشير اسمه الى خصب اراضيه ووفرة انتاجها .

اما بالنسبة لموضع القيروان فقد كان وادياً كثير الأعشاب ، متشابك الأشجار ، مأوىٰ للوحوش والحيات ، فقد ذكر ابن عبدالحكم ان عقبة : « ركب والناس معه حتىٰ أتىٰ موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر ، كثير القطف ، تأوي اليه الوحوش ، والسباع ، والهوّام »[٣٩] .

كما ادرك عقبة أيضاً أهمية طرق الامدادات بالنسبة الى القيروان ، فوقوعها على الطريق الموصلة الى مصر ، جعلها مفتوحة امام الامدادات القادمة من مصر ، صالحة للانسحاب منها في حالة التقهقر[٤٠] .

وقد أشار ابن خلدون الى ضرورة توفر العامل العسكري الأمني ، والعامل الجغرافي في اختيار موضع المدينة ، فقد ذكر في مقدمته : « اعلم ان المدن قرار تتخذه الأمم ، عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتؤثر الدّعة والسكون ، وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك القرار والمأوى ، وجب ان يراعىٰ فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع ، وتسهيل المرافق لها ، فأما الحماية من المضار فيراعىٰ لها متمنع من الأمكنة ، اما على هضبة متوعرة من الجبل ، واما باستدارة بحر او نهر بها ، حتى لايوصل اليها الا بعد العبور علىٰ جسر أو قنطرة ، فيصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها .. وأما جلب المنافع والمرافق للبلد ، فيراعىٰ فيه امور ، منها الماء ، بان يكون البلد على نهر ، أو بازائها عيون عذبة ثرّة ، فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء ، وهي ضرورية .. ومما يراعىٰ من المرافق في المدن ، طيب المراعي لسائمتهم ، اذ صاحب كل قرار لابد له من دوجن الحيوان ، للنتاج والضرع والركوب ، ولابد لها من المرعىٰ .. »[٤١] .

ومن خلال نص ابن خلدون نلاحظ ان عقبة قد راعىٰ أهم النقاط الأساسية في اختيار المكان الملائم للقيروان ، لاسيما النواحي الدفاعية والأمنية ، وتأمين المعيشة والمراعي للابل . لكنه كما يبدو اغفل نقطة مهمة في مسألة توفر المياه العذبة ، اذ ليس في المنطقة نهر جار ، أو عيون وفيرة المياه ، وانما كان مصدر الشرب لدىٰ السكان هو مياه الأمطار ، التي تهطل في الشتاء ، وتتجمع في برك كبيرة تدعىٰ بالمواجل ، فضلاً عن وجود بعض الآبار القليلة ، وكان هناك واد في جنوب المدينة يسمىٰ بوادي السراويل ، يجري فيه ماء ملح ، يستعمله السكان فيما يحتاجون اليه لأعمالهم دون

الشرب[٤٢] .

ونستخلص مما تقدم ، ان الموضع الذي اقيمت عليه القيروان كان في مكان بعيد عن ساحل البحر ، تكثر فيه السبخات والاشجار الكثيفة والحيوانات المختلفة يصلح لرعي الابل ، ولاتتوفر فيه الموارد المائية الجارية الصالحة للشرب . وعلى كل حال ، فقد أحسن عقبة اختيار موضع القيروان ، ويشير أحد كبار المؤرخين الغربيين وهو كودل Caudel الى ذلك بقوله : « وكان اختيار المكان موفقاً ، بل بلغ من التوفيق في اختياره ، ان ولاة المغرب ، ومن خلفهم من الحكام المستقلين قاموا بها زماناً طويلاً ، ولم ينتقلوا عنها ، الا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة الى ذلك ، كما كان موقعها الحربي معروفاً ملحوظ الأهمية ، اذ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزاً لأعماله يستطيع ان يرىٰ العدو من بعيد ، ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر ، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتحة امامه ، اذ كان يستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول الى اعالي الهضاب .. ومن اعالي الهضاب كان يستطيع الأشراف على مايجاورها ، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك ، كذلك كان فرسانه الخفاف قديرين على ان يقوموا بهذا النوع من اعمال الاستطلاع ، وبالغارات السريعة ، والحراسة الدائمة »[٤٣] .

٢ ـ تخطيط القيروان :

لاتشير المصادر الى معلومات مفصلة عن مدينة القيروان وخططها ، ولكن يبدو ان عقبة قد اتبع الطريقة التي سار عليها العرب في تخطيط مدنهم التي اقاموها في البلاد التي فتحوها ، كالكوفة ، والبصرة في العراق ،

والفسطاط في مصر ، تلك الطريقة التي كانت تقوم على أساس التنظيم القبلي[٤٤] .

وقبل ان يشرع الجند في تخطيط المدينة ، ووضع أسسها ، كان عليهم أولاً ان يقوموا بتنظيف المكان بما فيه من الأشجار والأعشاب ، اذ ان موضع المدينة ـ كما اسلفنا ـ كانت تشغله اشجار متشابكة ، وقد أمرهم عقبة بقطع هذه الاشجار[٤٥] ، وحرقها[٤٦] ، وتسوية الأرض ، حتىٰ تكون صالحة للتخطيط والبناء .

وبعد ان اصبحت الأرض صالحة للبناء ، اختط عقبة اولاً المسجد الجامع ، ثم اختط الى جانبه دار الامارة ، ثم قسمت الأرض المحيطة بهما على احياء عديدة ، تدعىٰ بالخطط ، او القطائع ، ووزعت بين القبائل ، فأصبح لكل قبيلة حي خاص بها ، يدعى خطة ، او قطيعة ، ولكل حي منازله ومسجده ، وسوقه ، ومقبرته الخاصة به[٤٧] .

وقد اختلف الكتاب في موضوع المدينة ، وبناء دار الأمارة ، والمسجد الجامع ، فالبعض يذكر ان بناء دار الامارة ، والمدينة ، كان اولاً[٤٨] . ويذكر البعض الآخر ان بناء المسجد الجامع كان قبل دار الامارة[٤٩] ، وهو الأرجح ، اذ ليس من المعقول ان يفكر قائد مثل عقبة في بناء دار الامارة ، قبل تخطيط مسجد جامع لصلاة جيشه ، والمسلمين .

كانت القبائل التي سكنت القيروان من سائر بطون العرب ، من مضر ، وربيعة ، وقحطان[٥٠] ، وبما ان معظم هذه القبائل قد جاءت من مصر ، فلابد اذن انهم قد تأثروا بشكل خاص في انشاء منازلهم ، على وضع منازل الفسطاط في مصر وطرازها ، وقد اختطت كل عشيرة حيّها الخاص

بها ، فهناك اشارة الى ان بني فهر ، قوم عقبة ، قاموا باختطاط منازلهم الى الجهة الشمالية من الجامع ، واتخذوا حولها بعض الأجنة[٥١] ، أما العشائر الأخرى فقد اختطوا منازلهم في الأماكن المجاورة ، وقد اخذت بعض الاحياء والطرق بعد تأسيس القيروان بسنوات وبالتدريج اسماء هذه العشائر ، وبعض الشخصيات المشهورة ، منها في سبيل المثال حارة يحصب ، وحارة بني نافذ ، ورحبة القرشيين ، ورحبة الانصار[٥٢] ، ورحبة بني درارج[٥٣] ، ودرب أزهــر ، ودرب ام ايـوب[٥٤] ، ودرب أسلم ، ودرب نــافــع ، ودرب عبدالله ، ودرب الربيع[٥٥] .

وقد ترك عقبة في وسط المدينة جادة واسعة ، تسمىٰ بالسماط الكبير ، تقسم المدينة على قسمين او نصفين ، تنتشر على جانبيها الأسواق ، والمتاجر المختلفة[٥٦] ، واشتمل تخطيط القيروان كذلك على تحصينها من اجل زيادة قدرتها الدفاعية ضد هجمات الأعداء ، وذلك باحاطتها بسـور من اللبن والطين[٥٧] .

تخطيط المسجد الجامـــع :

تشير بعض المصادر الى ان عقبة اختط المسجد الجامـع ، لكنه لم يشيد عليه بناءً ، وكانت الصلاة تقام فيه من دون بناء[٥٨] ، في حين تروي مصادر أخرى ان عقبة بنىٰ المسجد الجامع[٥٩] ، ويبدو ان بناء المسجد لم يكن كاملاً ، بل كان بناءً بسيطاً .

ويذكر المالكي ان خلافاً قام بين عقبة واصحابه ، حول تحديد موضع قبلة المسجد ، فقد قالوا له : « ان اهل المغرب يضعون قبلتهم ، على قبلة هذا المسجد ، فاجهد نفسك في تقويمه »[٦٠] ، وتزعم بعض الروايات انشغال

عقبة لبعض الوقت في الأمر ، حتى الهمه الله باتجاهها فأقامها ، وذلك عندما سمع نداءً في منامه يقول له انه سوف يسمع تكبيراً في الموضع الصحيح للقبلة ، فلما سمع التكبير ركز رمحه في ذلك المكان ، وقال هنا محرابكم[٦١] .

وهكذا احيط تحديد القبلة على يدي عقبة ، بما يشبه القصص والأساطير ، ولكن هناك ماينفي هذه القصة المصطنعة ، بما يذكره ابن عبدالحكم ، من ان عقبة وضع رمحه لتحديد موضع القيروان ، لالتحديد موضع القبلة[٦٢] ، اذ لو كانت هذه الرواية صحيحة لجاء تحديد موضع القبلة صحيحاً ، فقد ذكر الاستاذ أحمد فكري ، ان قبلة مسجد القيروان الموجودة اليوم هي القبلة نفسها التي حددها عقبة ، وفيها شيء من الانحراف عن موضعها الصحيح ، وسبب هذا الانحراف هو قلة المعرفة بطرق تحديد الجهات في ذلك الوقت ، أما سبب الابقاء على هذا الانحراف الى هذا الوقت ، فهو أولاً : لما يتمتع به هذا المحراب من اجلال واكبار من قبل الناس ، لأنهم يعتقدون انه موضع كرامة من كرامات عقبة ، وثانياً : فان هدم حائط المحراب يعني تغييراً لكل نظام المسجد[٦٣] . اما الدكتور حسين مؤنس فيقول ، ان ماينفي هذه القصة ، هو مجرد التساؤل عن القبلة التي كان عقبة واصحابه يتوجهون اليها في صلاتهم قبل البدء ببناء المسجد[٦٤] .

لقد اعتاد العرب في تخطيط مدنهم ان يبدأوا ببناء المسجد ، في وسط المدينة الى جانب دار الأمارة ، وذلك من اجل ابراز أهمية المسجد ، وجعله في قلب المدينة . وقد تميز تخطيط مسجد القيروان بالبساطة ، لأن نظام هذا المسجد كغيره من المساجد الأخرى ، التي اقيمت في المدن الاسلامية ، مأخوذ من نظام مسجد الرسول (ﷺ) في المدينة ، وقد كان هذا النظام على درجة من البساطة ، لاتعقيد فيه ولاتكلف في توزيع وحداته ، واسلوب

بنائه ، وقد انعكست بساطة الدين الاسلامي في اداء فرائضه على نظام تخطيط المساجد الاسلامية ، ومن ضمنها مسجد القيروان ، اذ لم يتطلب الدين الاسلامي اكثر من اربعة جدران تبنى بأي نوع من المواد الانشائية لتحدد محيط المسجد ، وتحفظ حرمته ، ومن سقيفة او ظلة تحمي المسلمين من حرارة الشمس ، وبرودة الجو ، ونزول المطر عند صلاتهم ، او عند اجتماعهم للنقاش في أمور دينهم ودنياهم[٦٥] .

وقد كان لمسجد القيروان « صحن » وهو منطقة مكشوفة من المسجد ، لها فائدة مهمة ، فمن خلاله يدخل النور الى بيت الصلاة ، وتقام الصلاة فيه ايام الجمع ، بسبب كثرة وازدحام المسلمين ، وكان لبيت الصلاة في مسجد القيروان عنصر آخر ، وهو المحراب ، وهو عبارة عن تجويف في حائط لايتسع الاّ للامام في جلوسه ، وركوعه ، وسجوده عند الصلاة ، ويعد محراب مسجد القيروان اقدم محراب مجوف في المساجد الاسلامية ، فقد ابتكره عقبة بن نافع واصحابه ، حتى يدخل الامام فيه اثناء صلاته ، ويترك الصف الذي كان يحتله هو وحده ، ليتسع لمائتين من المصلين بدله[٦٦] .

كان بنيان مسجد القيروان يقوم على عنصرين أساسيين ، العمود ومايعلوه من رأس وتاج ، والاسطوانة ، ومايعلوها من العقد ، أما الاعمدة فقد اتفق على انها وضعت في مسجد القيروان منذ أيام نشأته في عهد عقبة ، وقيل انها نقلت من آثار قديمة ، كانت في صبرت ، في حين لم تكن للمسجد اسطوانات وعقد ، ايام عقبة ، فقد كان سقف المسجد قائماً مباشرة على الأعمدة وتيجانها[٦٧] .

ويرى الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب ان الذي حمل عقبة على اختيار موضع المسجد هو وجود بئر عذبة المياه ، وهي بئر « ام عياض » التي لاتبعد الاّ بمسافة قليلة عن المسجد ، وليس بئر « روطة » ، كما يقول البعض ، لأن هذه البئر تبعد عن المسجد مسافة طويلة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان اسم بئر « روطة » لم يرد في كتب التاريخ والتراجم الاّ في القرن الخامس الهجري . يضاف الى ذلك ان هذه البئر من مستحدثات القرن الثاني الهجري ، أحدثها الأمير هرثمة بن اعين ، الذي ولاه الخليفة هارون الرشيد أمر افريقية والمغرب ، ولايعقل الاّ تكون هناك بئر بالقرب من المسجد للشرب والوضوء والغسيل ، ويعلل الباحث سبب ذلك بما اشتهرت به القيروان من جفاف وقلة في المياه ، وهذا هو ماحمل الولاة على الاهتمام بانشاء الصهاريج الكبيرة لخزن مياه الأمطار والسيول[٦٨] .

ولم يبق مسجد القيروان على هذه البساطة ، بل اجريت عليه تغييرات عديدة ، لأن المسجد الذي بناه عقبة هدم ، واعيد بناؤه بعد عشرين سنة ، في زمن الوالي حسان بن النعمان سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، ولما كان هذا الكتاب يقتصر على تأسيس مدينة القيروان في زمن عقبة فقط ، فلن نتحدث عن المسجد الجامع لهذه المدينة في الفترات التاريخية اللاحقة[٦٩] .

لقد كان مسجد القيروان ، الجامع الأول الذي أنشئ في المغرب الاسلامي ، وقد كان له دور مهم كغيره من المساجد الاسلامية ، ليس في مسار الحياة الدينية فحسب ، بل في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية ، فقد كانت تتم فيه مراسيم الزواج والطلاق ، وقد كان ايضاً مركزاً لعقد حلقات العلم والمعرفة ، وفيه يلتقي المسلمون لمناقشة أمور

الحرب ، وهكذا فاننا نلاحظ انه شكل رابطة لأخوة وثيقة بين الجماعة الاسلامية ، فهم لايلتقون لمجرد اقامة الصلاة في مواعيدها ، بل للمشاركة الدائمة في الحياة لمحاولة تأسيس كيان اسلامي متماسك ، يجعل اتجاهه وتفكيره في خدمة الدين والدنيا(٧٠) .

وتحدد بعض المصادر مساحة مدينة القيروان بعد الانتهاء من بنائها بثلاثة الاف وستمائة باع(٧١) ، اي مايعادل خمسة آلاف وثمنمائة متر وربع ، أما ابن عذاري فيحددها بثلاثة عشر الفاً وستمائة ذراع(٧٢) ، اي مايعادل سبعة آلاف متر مربع ، ويمكن ان تكون المساحة الأولى معقولة بالنسبة لخطة المدينة ، التي تشمل المسجد ، ودار الامارة ، وخطط القبائل ، ومساجدهم الخاصة ، اما بالنسبة للمساحة الثانية ، فواضح ان الرقم مبالغ فيه ، ولكنها تبدو معقولة ايضاً ، اذا ماانضافت الى المدينة مساكن القبائل الموالية للمسلمين من اهل البلاد(٧٣) .

وكانت بنايات المدينة ومنشآتها بصورة عامة ، في بداية الأمر على درجة من البساطة ، فقد استخدم في بنائها الآجر المصلوخ ، لتوفر الطين في المكان نفسه(٧٤) ، وقد استغرقت عملية بناء القيروان قرابة خمس سنوات ، واكمل بناؤها سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م(٧٥) ، ولم يتوقف عقبة بن نافع في اثناء بنائه للقيروان عن فتوحاته ، فقد كان يوجه السرايا لاخضاع القبائل في المناطق المجاورة للقيروان ، والتوغل في اراضيهم(٧٦) .

وشكل بناء القيروان حدثاً مهماً في تاريخ الفتح العربي للمغرب ، لانها اصبحت نواة لولاية اسلامية جديدة ، وهي ولاية افريقية ، كما كانت الفسطاط نواة لولاية مصر الاسلامية(٧٧) .

الهبت القيروان عزيمة العرب على فتح بقية اقاليم المغرب[٧٨] ، فمنها امتد سلطانهم الى بقية اجزاء المغرب الأوسط والأقصىٰ ، ووصل الى السودان ، وعبر الى أوربا ، واستقر في الاندلس[٧٩] .

كذلك كان من نتائج بناء القيروان ، واستقرار العرب المسلمين فيها ان حمل الكثير من السكان المحليين على حب الاسلام ، واعتناقه ، وذلك بحكم مجاورتهم واختلاطهم بالعرب ، فقويت الروح المعنوية للجنود ، واطمأنت نفوسهم ، وقد عبر ابن الاثير عن ذلك خير تعبير بقوله : « ودخل كثير من البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ، وقوى جنان من هناك من الجنود ، بمدينة القيروان ،وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها »[٨٠] .

عزل عقبة بن نافع :

بعد ان أتم عقبة بن نافع بناء القيروان ، فوجيء بعزله سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م[٨١] ، ولم تشر المصادر الى اسباب العزل ، بيد انها تذكر ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان ضم ولاية افريقية الى مسلمة بن مخلد عامله على مصر ، فأصبحت مصر والمغرب كلها بيده[٨٢] ، وقام هذا الأخير بعزل عقبة بن نافع وتولية مولاه أبي المهاجر دينار .

ونتيجة لهذا الغموض في معرفة أسباب عزل عقبة ، ظهرت دراسات حديثة في هذا المجال ، وقد ارجع قسم منها سبب العزل الى سياسة الشدة والعنف التي اتبعها عقبة ازاء السكان المحليين ، والدليل على ذلك ان الوالي الجديد اتبع سياسة مخالفة تماماً لسياسة عقبة[٨٣] .

ويرىٰ الاستاذ هنري تراس Henri Terrase ان الخليفة معاوية بن ابي

سفيان عزل عقبة عن ولاية افريقية ، خوفاً من ان يستقل بالمغرب عن الخلافة[٨٤] .

وقد أيده في ذلك الدكتور السيد عبدالعزيز سالم بقوله : « ليس من المستبعد ان يتجه تفكير معاويه الى ذلك ، فعقبة أحد أقرباء عمروبن العاص ، الذي كان يخشىٰ مطامعه في مصر وافريقية ، لذلك جعل ولاية افريقية تتبعه مباشرة بعد وفاة عمروبن العاص ، ولعله رأىٰ من اهتمام عقبة بافريقية ، وفي بنائه لمدينة القيروان ، والتفاف الناس حوله ، اتجاهاً منه نحو الاستقلال ، بحكم بعد هذا الاقليم عن مركز الخلافة ، وغناه بالخيرات ، لذلك اسرع بضم ولاية افريقية الى مسلمة بن مخلد عامله على مصر ، ومن المحتمل انه اشار على مسلمة بعزل عقبة ، بدليل انه لم يرد عقبة الى افريقية ، بعد ان جاء اليه شاكياً من سوء عزل ابي المهاجر له[٨٥] .

اما الدكتور حسين مؤنس ، فيرىٰ ان السبب في عزل عقبة هو الموقف السلبي الذي وقفه الوالي مسلمة بن مخلد منه ، وذلك طمعاً في ضم ولاية افريقية لمصر ، اذ ظهرت بعد قيام القيروان أهمية ولاية افريقية ، ولما كان ميدانها أوسع ، من ميدان مصر ، في مجال الفتوح والغنائم ، فقد توجهت اليها انظار مسلمة بن مخلد ، واستغل فرصة إنشغال عقبة ببناء القيروان ، وتوقفه عن الفتوحات التي حرمت الخلافة من مورد مهم لها ، هو الغنائم ولما كانت هذه هي المقياس الذي يقاس به جهد الفاتحين ، سعىٰ مسلمة بن مخلد لدىٰ الخليفة ، وأخذ يهون ويقلل من شأن عقبة ، ويحثه على عزله ، وقد نجح في مسعاه وجمعت له مصر والمغرب[٨٦] .

ويمكن ترجيح رأي مؤنس في هذا المجال ، والدليل على ذلك هو موقف الخليفة معاوية من عقبة ، حينما جاء الى دمشق يشكو اليه مالقيه من سوء

عزل من قبل ابي المهاجر[٨٧] بقوله : « فتحت البلاد ، وبنيت المنازل ، ومسجد الجماعة ، ودانت لي ، ثم ارسلت عبد الانصاري فأساء عزلي »[٨٨] ، فلم يأمر الخليفة بعزل ابي المهاجر ومعاقبته ، على سوء تصرفه ازاء عقبة ، بل اكتفىٰ بتقديم الاعتذار الى عقبة ، وقال له : « عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم ، وتقديمه اياه ، وقيامه بدمه ، وبذل مهجته ، وقد رددتك على عملك »[٨٩] . ونلاحظ من خلال النص ان الخليفة يبين مكانة مسلمة بن مخلد ، ويطيب نفسه ، ويعده بان يرده الى ولايته ، ولكنه تراخىٰ في الأمر ، ولم ينفذ وعده ، الى ان توفي سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م ، وولي ابنه يزيد الخلافة ، فأعاد عقبة الى ولاية افريقية ، وهذا يؤيد ان عزل عقبة جاء باتفاق تم بين الخليفة وواليه على مصر مسلمة بن مخلد .

وتجمع المصادر على ان ابا المهاجر قد اساء عزل عقبة[٩٠] ، ولكن المؤرخين لم يوردوا تعليلاً معقولاً لذلك ، وقد ناقش الدكتور مؤنس هذه المسألة بطرحه السؤال الآتي : لماذا أساء ابو المهاجر لعقبة ، وانزل به هذا العقاب ؟ ثم اجاب عن هذا السؤال ، معتمداً ثلاثة أدلة ، مستقاة من ابن عبدالحكم ، يعلل فيها ان ابا المهاجر كان مأموراً ومدفوعاً من قبل مسلمة بن مخلد لتقديم مثل هذه الاساءة الى عقبة بن نافع .

أولاً : قال ابن عبدالحكم : « فلما قدم عقبة مصر ، ركب اليه مسلمة بن مخلد ، فاقسم له بالله ، لقد خالفه ماصنع ابو المهاجر ، ولقد أوصيته بك خاصة »[٩١] ، ويستنتج الدكتور مؤنس من هذا النص : ان سعي مسلمة الى عقبة ، واعتذاره له ، ونفي التهمة عنه ، كان خشية من ان يغضب عليه الخليفة ، حين يقص عليه عقبة مانزل به من اساءة على يديه ،

فاسرع وألقى التهمة على ابي المهاجر[٩٢] .

ثانياً : لم يكد عقبة يقدم شكواه الى الخليفة ، بما لقيه من ابي المهاجر بقوله : « فتحت البلاد ، وبنيت المنازل ، ومسجد الجماعة ، ودانت لي ، ثم أرسلت عبدالأنصاري فأساء عزلي »[٩٣] ، حتى اعتذر له الخليفة معاوية ، وقال : « عرفت مكان مسلمة بن مخلد بن الامام المظلوم ، وتقديمه اياه ، وقيامه بدمه ، وبذل مهجته ، وقد رددتك الى عملك »[٩٤] ، وهذا دليل ، واعتراف من معاوية بأن المسؤول عن اساءة عقبة هو مسلمة لا أبو المهاجر[٩٥] .

ثالثاً : اذا صدق مايذكره ابن عبدالحكم ، وغيره من المؤرخين ، من روايات تشير الى ان عقبة دعا على ابي المهاجر ، فظل هذا خائفاً ، لأن عقبة كان مستجاب الدعوة[٩٦] . فهذا يدل على براءة ابي المهاجر ، وانه لم يفعل ذلك الاّ مضطراً مرغماً على ذلك[٩٧] .

لقد أخذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم بأدلة الدكتور حسين مؤنس ، لكنه نفى الدليل الأول[٩٨] : وأضاف دليلين آخرين يثبتان براءة أبي المهاجر من تهمة الاساءة الى عقبة :

أولاً : لو ان مسلمة لم يدفع بأبي المهاجر على الاساءة الى عقبة ، لكان عاقبه جزاء مخالفته اياه[٩٩] .

ثانياً : لو لم يكن مسلمة هو الذي أمر أبا المهاجر بتوجيه الاساءة الى عقبة لما كان كتاب التخلية عن عقبة ، واطلاق سراحه من سجنه ، قد جاء من الخليفة ، ولو لم يكن الأخير يعلم بأن مسلمة وراء هذه الاساءة لكان قد أمر بعزل ابي المهاجر وتأديبه ، وأعاد عقبة الى عمله[١٠٠] .

ومهما يكن من أمر عـزل عقبة ، فقـد عين أبـو المهاجـر والياً عـلى افريقية ، ولكن المصـادر التاريخية لاتسعفنا بمعلومات عن أصله ، سوىٰ انه كان مولىٰ لمسلمة بن مخلد ، وربما كان مصري الأصل ، اعتقه مسلمة بن مخلد ، وقربه اليه ، لتفانيه في خدمته ، واخلاصه له ، وعدّه واحـداً من جملة خاصته ، فأحبّ ان يكافئه فولاه ولاية افريقية ، وقد جـاء ذلك على لسان مسلمة بن مخلد بقوله : « ان ابا المهاجر ، كأحدنا ، صبر علينا في غير ولاية ، ولاكبير نيل ، فنحن نحب ان نكافيه ونصطنعه »[١٠١] .

وتشير المصادر الى ان ابا المهاجر كره المقام في مدينـة القيروان ، فأنشأ مدينة جديدة لجنده تسمىٰ « تيكروان » من اجـل تخليد ذكـره ، ويذكر ابن عبدالحكم انه مضىٰ خلف القيروان بميلين « فأبتنىٰ ونزل »[١٠٢] اما المالكي ، فيشير الى ان ابا المهاجر « انصرف فنزل بـدكرور ، مـدينة البربر ، بالقرب من موضـع القيروان »[١٠٣] . في حين يقـول ابن عذاري : « ونزل خارجاً عن المدينة وكره ان ينزل الموضـع الذي اختطه عقبة ، ومضىٰ تحت خلفه بميلين .. فاختط بها مدينة ، وأراد ان يكون له ذكرها ، ويفسد عمـل عقبة ، فبنىٰ مـدينة ، وأخـذ في عمرانهـا ، وأمر النـاس ان تحـرق القيروان ، ويعمروا مدينته »[١٠٤] .

وأخيراً فقد قال النويري : « فلما وصل [ابو المهاجر] كره ان ينزل بالموضع الذي اختطه عقبة ، فنزل عنه بمسافة ميلين ، واختط مدينة وارد ان يكون له ذكرها ويفسد ماعمله عقبة ، فسماها البربر تيكروان ، فأخذ في عمارتها ، وأمر الناس ان يخربوا القيروان ، ويعمروا مدينته »[١٠٥] .

ونلاحظ ان رواية المالكي هي الأقرب الى الصواب ، لأن ابا المهاجر لم يكن يملك الوقت الكافي لبناء مدينة جديدة بدلاً من القيروان[١٠٦] .

ولعل السبب الذي حمل أبا المهاجر على النزول في قرية دكرور البربرية ، هو الخوف من الاقامة في القيروان بسبب اساءته الى عقبة ، فقد كان يخشى ان يواجه نوعاً من المقاومة ، من قبل القبائل العربية ، لاسيما من فهر عشيرة عقبة[١٠٧] .

اما مايقال عن قيام ابي المهاجر باخلاء القيروان ، وتدميرها وحرقها ، فهو أمر بعيد الاحتمال ، فليس هناك سبب مقنع واحد ، يدعو للقيام بهذا العمل التخريبي ، والقضاء على جهود العرب المسلمين ، التي استغرقت خمس سنين في بنائهم لهذه المدينة ، ويمكن ان نستند في هذا الرأي الى ماذكره المالكي والدباغ ، من ان أبا المهاجر نفسه عادو سكن القيروان بعد رجوعه من حملته على تلمسانة[١٠٨] .

ودامت ولاية أبي المهاجر سبع سنين ، من سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ ، الى سنة اثنتين وستين ٦٢ هـ / ٦٨١ م ، ثم اعيد عقبة ثانية والياً على افريقية .

هوامش الفصل الثاني

١ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢١٦ قدامه ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٦٥ ؛ الدباغ : معالم الايمان : ١ / ٨ ، ابن عذاري ، البيان المغرب : ١ / ١٩ ، ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٦ ، السلاوي ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصىٰ : ١ / ٧٨ .

٢ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ ، ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٥ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس (القاهرة : ١٩٦٣) : ٢ / ٣٢٣ ؛ ابن عذاري : ١ / ١٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء : ٣ / ٥٣٣ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ص ٢٩ ، السلاوي : ١ / ٧٨ .

٣ ـ قارن : طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، ص ١١٩ ، ١٢١ .

٤ ـ الحموي ، معجم البلدان : ٤ / ٤٢٠ ، ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٥ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٢ / ١١ ، السلاوي : ١ / ٧٨ .

٥ ـ قارن : طه ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

٦ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٤ .

٧ ـ البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٤ .

٨ ـ السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ١٩٨ .

٩ ـ الكامل : ٣ / ٤٦٥ .

١٠ ـ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٢٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٥ / ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

١١ ـ J.M. Abun — Nasr, A History of the Maghrib, Cambridge, 1971, P.58.

١٢ ـ فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ ، وانظر حسن حسني عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (تونس : ١٩٦٤) : ١ / ٤٤ .

١٣ ـ البيان المغرب : ١ / ١٩ .

١٤ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٠ .

١٥ ـ رياض النفوس : ١ / ٦٠ .

١٦ ـ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : احسان عباس (بيروت ، بدون تاريخ) : ١ / ٥٥ : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٢ / ١٢٨ .

١٧ ـ ابن خلكان : ١ / ٥٥ .

١٨ ـ الحموي : ٤ / ٤٢٠ .

١٩ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٢٠ ، ابن خلكان : ١ / ٥٥ : ابن منظور ، لسان العرب : ٦ / ٤٣٩ : الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس (مصر ١٣٠٦ هـ) : ٣ / ٥١٣ .

٢٠ ـ مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٤ .

وتيكروان : مدينة قريبة من القيروان كانت للبربر ، ومن اسم هذه المدينة اشتق اسم القيروان .

٢١ ـ مؤلف مجهول ، الدرة النثيرة في اخبار الجزيرة ، مخطوطة في المكتبة الوطنية في تونس ، رقم ١٨٦٢١ : ورقة ٦٩ .

٢٢ ـ الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٦٥ .

٢٣ ـ الدباغ ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان : ١ / ٨ ، ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ ، وقارن بـ :

Marcais G., Sidi Uqba, Abul — Muhajir et Kusaila, Cahiter de Tunisie, 1953, Vol. I,P.14.

٢٤ ـ قارن : مصطفى عباس الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية (بغداد : ١٩٨٢) ، ص ٦٦ ، ٨٦ ، ٨٧ : انتوني نتنج ، العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام ، ترجمة : د . راشد البراوي (القاهرة : ١٩٧٤) ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

٢٥ ـ ابن عذاري : ١ / ١٩ .

٢٦ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢١٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٤١ .
٢٧ ـ البيان المغرب : ١ / ١٩ .
٢٨ ـ قارن : سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٢٠١ .
٢٩ ـ الحموي ، معجم البلدان : ٤ / ٤٢١ .
٣٠ ـ جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية : ٢ / ١٩ .
٣١ ـ الموضع : بقعة الأرض التي تقوم عليها المدينة المختارة مباشرة ، ومدى تاثير الملامح الطبيعية كالمناخ والتربة لتلك البقعة على نمو وازدهار المدينة على مر العصور . وبمعنى آخر : هـو العنصر الطبيعي الذي تحدده البقعـة التي نهضت فوقها المدينة ، وهو الذي يكون لها عوناً لكي تبقى على طول الدهر نامية ومزدهرة ، وذلك اذا ماحالف التوفيق اختيارها ، لما تمتاز به من مزايا محلية واقليمية .
انظر : الموسوي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .
٣٢ ـ الموقع : يعني جميع الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها ، او اقليمها ، وبعبارة اخرى يشمل الموقـع : جميع الارتباطات المكانية بين المدينة والمناطق الاخرى .
انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٠١ .
٣٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٤ .
٣٤ ـ ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا ، ص ١٤٤ .
٣٥ ـ برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، ترجمة : نبيه امين فارس ، ومحمود يوسف زايد (بيروت : ١٩٥٤) ، ص ٧٤ .
٣٦ ـ ابن عذاري : ١ / ١٩ ، ٢٠ ، اورد هذا النص أيضاً مؤرخون آخرون ، ولكن بصيغ مختلفة منهم : المالكي : ١ / ٦ ، ٧ ؛ الورتيلاني ، نزهة الأنـظار في اختراق الآفاق ، ص ٩٤ ، الدباغ : ١ / ٩ ، الاستبصار ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .
٣٧ ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٢٤ .
٣٨ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
٣٩ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وقد أخذ معظم مؤرخينا برواية ابن عبدالحكم ، ولكن بصيغ مختلفة ، انظر : المالكي : رياض النفوس : ١ / ٧ :

الحموي : ٤ / ٤٢١ ، ابن الاثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٢١ : ابن عذاري : ١ / ٢٠ .

٤٠ ـ جوليان ، المرجع السابق ٢ / ١٩ : لومبار ، الاسلام في مجده الأول ، ص ١٠٣ .

٤١ ـ ابن خلدون ، المقدمة (بيروت : بدون تاريخ) ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

٤٢ ـ اليعقوبي ، البلدان ، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة ، تحقيق : دي غويه (ليدن : ١٨٩٢) ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

٤٣ ـ Caudle, Les Premieres in raison arabes del Afrique du Nord, Paris, 1900, 11. 104, 105.

نقلاً عن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٤٤ ـ انور الرفاعي ، الاسلام في حضارته ونظمه (بيروت : ١٩٧٣) ، ص ٣٤٣ .

٤٥ ـ البكري ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة : ١٩٤٩) : ٣ / ١١٠٦ ، ابن عذاري : ١ / ٢٠ .

٤٦ ـ البكري ، معجم ما استعجم : ٣ / ١١٠٦ : ابن الأثير ، اسد الغابة : ٣ / ٤٢١ .

٤٧ ـ الرفاعي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

٤٨ ـ الحموي : ٤ / ٤٢١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٦ : ابن عذاري : ١ / ٢٠ .

٤٩ ـ الدباغ : ١ / ١٠ ، ابن خلدون ، العبر : ٣ / ١٠ .

٥٠ ـ اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ .

٥١ ـ البكري ، المغرب ، ص ٣٣ ، وانظر : عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٤٨ .

٥٢ ـ الدباغ : ٣ / ٦ ، ١٩ .

٥٣ ـ ابو العرب ، طبقات علماء افريقية وتونس ، ص ٢٢٢ : المالكي : ١ / ١٥٩ .

٥٤ ـ الدباغ : ٣ / ٦ ، ١٩ : وقارن : عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٥٢ .

٥٥ ـ المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن : ١٩٠٦) ، ص ٢٢٦ .
٥٦ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ ، وقارن : عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٥٣ ، ٥٤ .
٥٧ ـ اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ .
٥٨ ـ المالكي : ١ / ٧ ، ابن عذاري : ١ / ٢٠ ، النويري : ٢٢ / ١٢ ، قد ٢ .
٥٩ ـ ابو العرب ، ص ٥٨ : الطبري : ٥ / ٢٤٠ : ابن الأثير ، الكامل ٣ / ٤٤٦ : ابن خلدون ، العبر ٣ / ١٠ .
٦٠ ـ رياض النفوس ١ / ٧ : وانظر المصادر الآتية التي تتضمن النص نفسه مع بعض الاختلافات الدباغ ١ / ١٠ ابن عذاري : ١ / ٢٠ ، النويري ٢٢ / ١٢ ، قد ٢ .
٦١ ـ الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٢١ : المالكي : ١ / ٧ ، ٨ : ابن عذاري ١ / ٢١ : الحميري ، ص ٤٨٧ .
٦٢ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٥ .
٦٣ ـ احمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان (الاسكندرية : ١٩٣٦) ، ص ٢٢
٦٤ ـ فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٤ .
٦٥ ـ فكري ، المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ : الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربي الاسلامية ، ص ٢٤٠ : الرفاعي ، الاسلام في حضارته ونظمه ، ص ٣٨٥ .
٦٦ ـ انظر فكري المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠
٦٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٦٠ ، ٦٤ ـ
٦٨ ـ عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٤٨ ، ٤٩ .
٦٩ ـ للاطلاع على مزيد من المعلومات عن المسجد الجامع ، راجع : فكري ، المرجع السابق
٧٠ ـ قارن . الموسوي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
٧١ ـ ابن الأثير الكامل ٣ / ٤٦٦ ، ابن خلدون : العبر : ٣ / ١٠ : النويري : ٢٢ / ١٢ ، قد ٢

والباع يساوي من حيث الأساس أربعة اذرع شرعية اي نحو

(١٩٩,٥سم) او حوالي مترين ، والذراع الشرعية تساوي (٤٩,٨٧٥سم) اي حوالي ٥٠سم .

انظر : فالترهنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ومايعادها في النظام المتري ، ترجمة ، كامل العسلي (عمان : ١٩٧٠) ، ص ٨٢ ، ٨٨ .

٧٢ ـ البيان المغرب : ١ / ٢١ .

٧٣ ـ عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي : ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ .

٧٤ ـ المقدسي ، ص ٢٢٥ .

٧٥ ـ انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ (يذكر ان تخطيط القيروان من قبل عقبة كان سنة ٦٠ هـ ، في خلافة معاويةبن ابي سفيان) ، الاستبصار ، ص ١٤ ، الحموي : ٤ / ٤٢١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٦ ، ابن عذاري : ١ / ٢١ : ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر : ١ / ١٨٦ : مؤلف مجهول ، اخبار مجموعية ، تحقيق : ابراهيم الأبياري (بيروت : ١٩٨١) ، ص ١٣ (يرى ان تخطيط القيروان كان في عهد الخليفة عثمانبن عفان ، عندما كان عقبة عاملاً على افريقية ، من قبل عبداللهبن سعدبن ابي سرح ، وهذا غير صحيح) ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ١ ك ٢٢٧ .

٧٦ ـ ابن الاثير : الكامل : ٣ / ٤٦٦ .

٧٧ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٦ ، شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الأول (بيروت : ١٩٧٣) ، ص ١٧٤ .

٧٨ ـ كلود كاهين ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة ، بدر الدين القاسم (بيروت : ١٩٧٢) ، ص ٤٠ .

٧٩ ـ انظر : عبدالوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٢٥ .

٨٠ ـ الكامل : ٣ / ٤٦٦ .

٨١ ـ الدباغ : ١ / ٤٧ : ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ ، السلاوي : ١ / ٨٠ .

٨٢ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٥٥ : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ : الطبري : ٥ / ٢٤٠ : الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٣٨ : وقارن : الورتيلاني ، ص ٩٥ : ابن ابي دينار ، ص ٢٩ : ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ : السلاوي : ١ / ٨٠ (يذكرون مصر وافريقية ،

بدلاً من مصر والمغرب) .

٨٣ ـ انظر : عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي : ١ / ١٨٨ ، عبدالمنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية (القاهرة : ١٩٦٠) : ٢ / ٥٩ ، جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية : ٢ / ٢٠ .

٨٤ ـ Terrasse, Histoir du Maroc des origines al'etablise ment du protectorat francais, casablanca, 1949, P.80.

نقلاً عن سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٢٠٩ .

٨٥ ـ سالم ، المغرب الكبير ، ٢ / ٢٠٩ .

٨٦ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

٨٧ ـ ابو المهاجر : لايعرف بالتحديد أصله ، باستثناء انه كان مولى لمسلمة بن مخلد ، ولكن من الممكن القول بأنه ربما كان مصري الأصل ، اعتنق الاسلام ، وشارك مع مسلمة في تأييد معاوية بن ابي سفيان ، ضد ادارة الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في مصر .

انظر : الكندي ، ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٧ ؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٨٨ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٦ .

٨٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

٩٠ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ؛ اليعقوبي ؛ تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٦ ؛ الدباغ : ١ / ٤٧ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٢ ؛ السلاوي : ١ / ٨٠ .

٩١ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٦ .

٩٢ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٥١ .

٩٣ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٦ .

٩٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

٩٥ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٥١ .

٩٦ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٦ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٢٩ ؛ السلاوي : ١ / ٨٠ .

٩٧ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٢ .

٩٨ ـ سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

٩٩ ـ المرجع نفسه : ٢ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

١٠٠ ـ المرجع نفسه : ٢ / ٢١٣ .

١٠١ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٢ ؛ وقارن : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

١٠٢ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٦ .

١٠٣ ـ رياض النفوس : ١ / ٢٠ .

١٠٤ ـ البيان المغرب : ١ / ٢٢ .

١٠٥ ـ نهاية الارب : ٢٢ / ١٣ ، قد ٢ .

١٠٦ ـ قارن : سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٢١٤ .

١٠٧ ـ انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٢٤ .

١٠٨ ـ رياض النفوس : ١ / ٢١ ؛ معالم الايمان : ١ / ٤٦ .

الفصل الثالث

الولاية الثانية لعقبة بن نافع

على المغرب ٦٢ ـ ٦٤ هـ / ٦٨١ ـ ٦٨٣ م

- مدخـــل .

توفي الخليفة معاوية بن ابي سفيان . سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م . وتولى ابنه يزيد الخلافة من بعده ، ففصل ولاية افريقية عن مصر ، وعزل عنها أبا المهاجر ، واعاد اليها عقبة بن نافع ثانية ، سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م[1] .
وبذلك تبدأ ولاية عقبة الثانية من ٦٢ هـ - ٦٤ ه / ٦٨١ - ٦٨٣ م .

ويعتقد احد الكتاب المحدثين ان ولاية عقبة الثانية جاءت بعد وفاة الوالي مسلمة بن مخلد ، ويعتمد في ذلك على التاريخ المشترك ، في الربط بين رد عقبة الى ولايته ، وبين وفاة مسلمة بن مخلد سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م ، اذ يقول : « لو كان عقبة ردّ قبل وفاة مسلمة ، فلماذا تحدد المراجع سنة ٦٢ هـ بالذات ، اي بعد سنتين من ولاية يزيد ؟ ولم لم يرده يزيد ، من اول ولايته ؟ وفيم كان الانتظار ؟ بل لو كان مسلمة حياً حين ردّ عقبة الى عمله لتولى حماية ابي المهاجر منه ، او لاستغاث به هذا الأخير في الأقل ، فأما وقد كان عقبة مطلق اليد ، يفعل بأبي المهاجر مايشاء ، فان ذلك دليل على ان هذا الأخير كان قد فقد وليه ، ونصيره ، فهان أمره على الناس »[2] .

ان توافق التاريخ بين وفاة مسلمة بن مخلد ، وتولية عقبة بن نافع لايمكن ان يكون دليلاً كافياً على تولية عقبة ، بعد وفاة مسلمة ، فمن الجائز ان يكون رد عقبة الى ولاية افريقية ، قد حصل قبل وفاة مسلمة ببضعة اشهر ، ولو افترضنا ان العلاقة بين مسلمة والخليفة معاوية كانت على درجة من القوة ، بحيث لم يستطيع ان يرد عقبة الى ولايته في عهده ، فليس من الضروري ان تكون هذه العلاقة بين يزيد ومسلمة على الدرجة نفسها من القوة ، بحيث لايستطيع من طرفه ان يرد عقبة الى ولايته ، الا بعد وفاة

مسلمة ، وليس من الضروري كذلك أن يرد يزيد عقبة الى ولايته بعد توليه الخلافة مباشرة ، لانه كان مشغولاً بأمور اهم من ذلك ، فقد واجهته صعوبات ومشكلات كثيرة ، هددت الخلافة ، منها في سبيل المثال ثورة الحسين بن علي (رضي الله عنهما) سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م وحركة عبدالله بن الزبير في الحجاز .

وكذلك فان قيام يزيد بفصل ولاية افريقية عن مصر ، وجعل ارتباطها بالخلافة مباشرة ، يلغي مسألة حماية مسلمة لابي المهاجر ، وأخيراً فان ماذكره كل من الرقيق ، وابن عذاري ، حول الاعتذار الذي قدمه مسلمة لعقبة ، عند مروره بمصر الى المغرب ، عن سوء عزله ، من قبل أبي المهاجر[٣٣] ، يؤكد ان مسلمة كان حياً ، عندما ردّ عقبة الى ولايته ثانية .

وتجمع الروايات على ان عقبة كان متعجلاً ، ومتلهفاً في الرجوع الى ولايته ، مصمماً على معاقبة ابي المهاجر ، والانتقام منه ، فقد قال الرقيق القيراوني : « ومضىٰ [عقبة] سريعاً ، لحنقه على ابي المهاجر ، حين قدم افريقية ، فأوثق ابا المهاجر ، في الحديد ، وأمر بخراب مدينته ، ورد الناس الى القيروان »[٤] .

أما الورثيلاني فيقول : « خرج عقبة الى افريقية في سنة اثنتين وستين ، فمر سريعاً حنقاً على ابي المهاجر ، فاوثقه في الحديد ، وأمر بتخريب المدينة التي بناها ، والرجوع الى القيروان وعمارتها »[٥] ، ويؤكد ابن عذاري هذا الأمر كذلك ، بقوله : « ومضىٰ [عقبة] حنقاً على أبي المهاجر ، حتىٰ قدم افريقية ، فأوثق ابا المهاجر في الحديد ، وأمر بتخريب مدينته ، التي بناها ، ورد الناس الى القيروان »[٦] ، ويزيد المالكي والدباغ علىٰ ان عقبة صادر ايضاً الأموال التي كانت بحوزة ابي المهاجر ، وقدرها

مائة الف دينار[٧] . اما ابن عبدالحكم ، فيشير الى ان عقبة اصطحب معه ابا المهاجر في حملته الكبرىٰ الى المغرب الأقصى ، وكان مكبلاً بالحديد ، وقد استشهد ، وهو مقيد[٨] .

ان هذه النصوص تثير عدة نقاط من الواجب مناقشتها ، وتفسيرها ، وهي كما يأتي :

أولاً : انتقام عقبة من ابي المهاجر ، وتكبيله بالحديد ، وأخذه معه في حملته الكبرىٰ ، واستشهاده ، وهو على هذه الحالة ، فمن الملاحظ ان المؤرخين قد بالغوا في مسألة انتقام عقبة من ابي المهاجر ، وقد أشرنا فيما سبق الى ان عقبة كان على علم ويقين بأن اساءة ابي المهاجر له ، كانت بأمر من مسلمة ، وهو لاذنب له ، لأنه مأمور بذلك[٩] . ويبدو ان عقوبة عقبة لأبي المهاجر اقتصرت على معاتبته وتوبيخه ، وقد ابقاه الى جانبه ، واشركه في حملته على المغرب ، فلو صح ماذكرته الروايات من ان عقبة عاقب ابا المهاجر ، وكبله بالحديد ، لكان الأجدر به ان يبقيه مسجوناً في القيروان ، لا أن يأخذه معه للجهاد ، فيقاتل ، وينال الشهادة ، وهو مكبل بالحديد .

ثانياً : مسألة تخريب مدينة ابي المهاجر ، واعادة الناس الى القيروان ، بعد تجديد بنائها وعمارتها ، وهذا امر مستبعد ، لان مدينة القيروان مسكونة ، مأهولة . فقد أسلفنا ان هناك مايؤكد ان ابا المهاجر لم يخرب القيروان ، ويخرج الناس منها ، لأنه عاد ، وسكن فيها ، بعد رجوعه من حملته على تلمسان .

عاد عقبة الى ولاية افريقية ثانية ، وهو أشد حماساً ، وأكثر تصميماً واندفاعاً ، ورغبة في الجهاد والفتح ، لهذا فقد جاءت ولايته الثانية مختلفة ،

عن ولايته الأولىٰ ، فبينما قضىٰ معظم ولايته الأولىٰ في بناء القيروان ، الى جانب القيام بارسال بعض السرايا الصغيرة ، لاخضاع المناطق المجاورة ، نراه يقضي ولايته الثانية ، بالاعداد لحملة كبيرة ، اجتاحت المغربين الأوسط والأقصىٰ ، حتى وصل الى شواطيء المحيط الأطلسي . ويبدو انه كان ينوي القيام بها في ولايته الأولى ، بعد الفراغ من بناء مدينة القيروان ، ففاجأه العزل ، وحال بينه ، وبين تنفيذ ماأراد[١٠] .

وقبل ان ينطلق عقبة في حملته هذه ، استخلف على القيروان زهيربن قيس البلوي[١١] ، علـى رأس حاميـة عربيـة[١٢] ، تتكـون من سـتـة آلاف مقاتل[١٣] ، لحماية القيروان ، ثم دعا اولاده وخطب فيهم قائلاً : « اني بعت نفسي من الله عز وجل .. ان اجاهد من كفر ، حتىٰ الحق بالله ، ولست ادري أتروني بعد يومي هذا ، او اراكم ، لأن أملي الموت في سبيل الله .. أو ردّي اليكم ، كما أحب »[١٤] . وقد عبر عقبة بقوله هذا عن رغبتـه في الجهاد ، والاستشهاد في سبيل نشر الاسلام .

أولاً : افتتاح المغرب الأوســـط :

مضىٰ عقبة باتجاه الغرب ، مصطحباً ابـا المهاجـر وكسيلة[١٥] ، على رأس جيش كبير ، ربما بلغ تعداده خمسة عشر الف مقاتل[١٦] . وعنـدما وصل الى مدينة باغاية[١٧] ، التحم مع حاميتها البيزنـطية ، التي خـرجت للقائه ، وانتهت المعركة بانهزام واندحار البيزنطيـين ، وتراجعهم داخـل اسوار المدينة ، بعد تركهم أعداداً كبيرة من القتلىٰ ، والكثير من الغنائم التي كان معظمها من خيل جبال اورانس ، التي لم ير العرب في معاركهم أصلب ولاأسرع منها ، وضــرب عقبة الحصـار على المـدينة ، لكنـه لم يستطع دخولها ، لحصانتها ، وشدة مقاومة حاميتها[١٨] ، لذا فقد آثـر الاّ يضيع

وقته ، وينهك قواه عندها ، فتركها . وتوجه نحو بلاد الزاب ، وهي حسبما يصفها الرقيق بلاد واسعة ، وعمائرها متصلة ، كثيرة الزرع والقرىٰ ، تنتشر حول مدينتها الكبرىٰ « أدنة »[١٩] . حوالي ثلاثمائة قرية[٢٠] وفي رواية اخرى ثلاثمائة وستون قرية[٢١] .

ويشير ابن الأثير الى ان عقبة سار الى بلاد الزاب ، وهي بلاد واسعة ، فيها عدة مدن ، وقرىٰ كثيرة ، فقصد مدينتها العظمىٰ ، واسمها « اربة » ، فامتنع بها من هناك من البيزنطيين ، وهرب بعضهم الى الجبال ، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة ، ثم انهزم البيزنطيون ، وقتل كثير من فرسانهم[٢٢] ، ويضيف كل من الرقيق والمالكي ، ان عقبة عسكر بجيشه على وادٍ قريب من « ادنة » فكره القتال ، وبات الجيش الليل كله ، في حراسة ومراقبة ، حتىٰ سمي هذا الوادي بـ « وادي السهر »، وفي الصباح التحم الفريقان ، وكان العدو على درجة من البأس والقوة ، حتى تسرب اليأس الى قلوب المقاتلين في احراز النصر ، ولكن هذه المعركة القاسية انتهت بانتصار المسلمين ، وهزيمة البيزنطيين ، وفرارهم الى حصونهم ، ومقتل كبار فرسانهم[٢٣] ، وقد عبر المؤرخون عن هذه الهزيمة بقولهم . ذهب عز الروم من الزاب ، وذلوا الى آخر الدهر[٢٤] ، ولم يشأ عقبة ان يحاصرهم بعد أن اعتصموا بحصونهم ، فرحل عنهم الى مدينة تيهرت[٢٥] .

وعندما وصل الى هذه المنطقة وجد نفسه امام تجمع كبير من البيزنطيين وانصارهم ، من قبائل لواته ، وهوارة ، وزواغة ، ومطماطة ، وزناتة ، ومكناسة[٢٦] ، وتشير المصادر الى ان البيزنطيين استغاثوا بالبربر ، عندما بلغهم خبر تقدم عقبة نحوهم ، فأجابوهم ونصروهم[٢٧] ، لأسباب سنذكرها لاحقاً .

وقد اشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو ، فقام عقبة في جيشه

خطيباً يحثهم على الجهاد والقتال في سبيل الله ، قائلاً : « يامعشر المسلمين ، ان خياركم واشرافكم منكم الذين رضي الله عنهم ، بايعهم رسول الله (ﷺ) ، بيعة الرضوان ، على قتال من كفر بالله الى يوم القيامة ، فبيعوا انفسكم من رب العالمين ، فانكم داخلون في تلك البيعة ، .. ، وانتم ماوطئتم هذه البلاد الاّ طلباً لرضاه ، وغضباً ان يعبد شيء سواه ، فابشروا ، فكلما كثر بشركم كان أخزىٰ لهم ، وأعز لدينكم ، وربكم ليس يسلمكم ، فالقوة بقلوب صادقة ، جعلكم الله اولي بأسه ، الذي لايردّ عن القوم المجرمين »[٢٨] ، واحتدم القتال بين الطرفين ، وانتهىٰ بانهزام البيزنطيين وانصارهم ، وتفرق جمعهم ، وقتل عدد كبير منهم ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم[٢٩] .

ثانياً : دخول المغرب الأقصىٰ :

كان عقبة حريصاً على مواصلة الفتح ، فترك البيزنطيين معتصمين في حصونهم وقلاعهم ، وعبر ممر تازا ، وأوغل في الغرب حتى دخل المغرب الاقصىٰ ، ونزل عند طنجة[٣٠] ، وقد عبر ابن عذاري عن ذلك بقوله : « فكره [عقبة] المقام على محاصرتهم ، فيفوته الغزو ، وقتل غيرهم من طوائف الكفار ، اذ كانت امم المغرب ، من نصارىٰ وبربر ، لايحصون كثرة وانتشاراً ، ولايكاثرون بالرمل والحصىٰ ، فترك اهل افريقية متحصنين بحصونهم ، وأوغل في الغرب يقتل ويأسر أمّة بعد أمّة ، وطائفة بعد طائفة ، بائعاً نفسه من مولاه ، لاتروعه كثرة ، ولاتعتريه هو ومن معه سآمة ، ولافترة ، حتىٰ صار بأحواز طنجة »[٣١] .

وكانت كورة طنجة تشمل الاقاليم الممتدة على ساحل المجاز الى الاندلس ، لاسيما مدينتا طنجة وسبتة وماحولهما[٣٢] . وكان حاكم هذا

الاقليم رجلاً بيزنطياً يدعىٰ « يليان »[٣٣] ، على درجة من الذكـاء والحنكة السياسية ، فما ان سمع باقتراب عقبة من احواز ولايته حتى سارع بارسال الرسل والهدايا[٣٤] ، والأموال الكثيرة اليه[٣٥] ، طلباً لصداقته من اجل الحفاظ على بلاده ، وبقائه في الحكم ، وقد قبل عقبة عرض « يليان » ، وفي الوقت نفسه استفاد من خبرته ومشورته ، في قضايا متعددة ، فقد أمده « يليان » بمعلومات عن القوط في الأندلس ، وحذره من العبور الى شبه الجزيرة الايبيرية (الاندلس) ، كما أمده بمعلومات عن السكان المحليين ، ومواطنهم في المغرب الأقصىٰ ، وبين له انهم جموع كثيرة لايعلم عددهم الا الله ، وهم أهل نجدة وبأس شديد ، ولهم قوة في الحروب ، وهم قوم ليس لهم دين ، يكفرون بالله عـز وجل ولايعـرفونـه[٣٦] ، وقد أخـذ عقبة بنصـائح « يليان » ، وقرر اخضاع قبائل المغرب الأقصىٰ ، وسـار من طنجة نحـو الجنوب الغربي ، حيث بلاد السوس الادنىٰ[٣٧] ، المعروفة ببلاد « تامستا » لاخضاع الوثنيين ، من قبائل مصمودة ، فخرجوا اليه بـأعداد كبيـرة ، وتذكر النصوص انه امعن في قتلهم ، وألحق بهم الهزيمة ، وأرسل الخيل وراء المنهزمين منهم للقضاء عليهم[٣٨] . ثم توجه الى مدينة وليلي القديمة Volubils[٣٩] فوجد نفسه امام تحالف قوىٰ من قبـائل الأطلس الوسـطىٰ ، فهزمهم شر هزيمة ، فلاذوا بالفرار نحو الصحراء ، وتابع فلولهم حتى وصل الى درعة في اقصىٰ الجنوب[٤٠] ، ولم يتوغل في مجاهل الصحراء ، بل صعد نحـو الشواطيء الغـربية للمغـرب الأقصىٰ ، وسار مـع وادي درعـة الى الشمال ، ودار حول جبال الأطلس الكبرىٰ ، ونزل بمناطق قبيلتي صنهاجة وهسكورة ، اللتين سارعتا لاعلان طاعتهما وولائهما[٤١] .

وتابع عقبة المسير الى بلدة أغمات[٤٢] ، التي بنيت بالقرب منها ، فيما بعد مدينة مراكش الحالية . فوجد ان اهلها قد اعتصموا فيها ، فحاصرها لفترة قصيرة ، واجبرها على النزول عند حكمه ، والخضوع له[٤٣] ، ثم اتجه نحو ربكة[٤٤] ، وفتحها[٤٥] ، وسار منها الى وادي نفيس ، حيث مدينة نفيس[٤٦] ، المشهورة باسم واديها ، وكان قد اجتمع فيها عدد كبير من السكان المحليين والبيزنطيين ، فحاصرهم عقبة وقاتلهم ، حتى فتحها وأصاب منها غنائم كثيرة[٤٧] ، وبافتتاحه لمدينة نفيس انفتحت أمامه الطريق الى السوس الأقصى[٤٨] ، فنزل عند مدينة ايجلي وفتحها[٤٩] ، ثم تابع المسير منها حتىٰ وصل مدينة ماسة علىٰ المحيط الاطلسي[٥٠] ، وهنا يصور لنا المؤرخون بأسلوب أدبي حالة عقبة ، وما اعتراه من حماس شديد للجهاد في سبيل الله ، عندما أوغل بفرسه في البحر ، ثم تراجع واكتفىٰ بالاعتذار على عدم قدرته على اقتحام البحر وعبوره[٥١] ، ثم عاد ادراجه قاصداً القيروان .

ثالثاً : عودة عقبة واستشهاده :

قرر عقبة العودة ماراً بمدينة « ايفيران يطوف » الواقعة علىٰ المحيط الاطلسي ، الى الجنوب من مدينة ماسة ،ثم صعد الى الشمال ، ماراً بقبائل حاحة ورجراجة ومصمودة ، ويبدو أنه قد عرض عليهم الاسلام ، فقبلوا دعوته وأطاعوه[٥٢] . ثم نزل عند وادي تنسيفت[٥٣] ، بين مدينتي مراكش وموجادو ، ثم اتجه الى بلاد دكالة ، التي تقع الى الشمال من وادي نفيس[٥٤] ، بين وادي تنسيفت ووادي ام الربيع[٥٥] ، فدعا اهلها الى الاسلام ، فامتنعوا وقاتلوه ، فألحق بهم الهزيمة ، بعد ان قتلوا عدداً كبيراً من جنده ، فسمي ذلك الموضع بـ « مقبرة الشهداء »[٥٦] . ويذكر

عبيدالله بن صالح ان المنهزمين فروا امام عقبة ، واجتمعوا مع قوم من هسكورة ، فسار اليهم وقاتلهم ، وحدث لأصحابه مثلما حدث لهم في بلاد دكالة ، فقد قتل منهم عدد كبير ، وسمي هذا الموضع أيضاً بـ « مقبرة الشهداء »[٥٧] ، في حين يخالف ابن عذاري ذلك ، ويكتفي بالقول ان عقبة تقدم نحو بلاد هسكورة ، وعرض عليهم الاسلام ، فرفضوا ، فقاتلهم ، وانهزمت جموعهم امامه[٥٨] ، ومن المحتمل ان الأمر قد اختلط على عبيدالله بن صالح ، وذكر الحادثة في الموضعين .

ثم قطع عقبة وادي نهرام الربيع ، ودخل في المغرب الأوسط ، يريد الرجوع الى القيروان[٥٩] ، وعند وصوله الى مدينة طبنة[٦٠] ، التي تبعد مسيرة ثمانية ايام عن القيروان ، أمر معظم جيشه بالعودة الى القيروان[٦١] ، وأبقىٰ معه خمسة آلاف مقاتل فقط[٦٢] .

ويعزو كل من الورثيلاني وابن الأثير ، ارسال عقبة لمعظم جيشه ، الى ثقته بنفسه ، لما انزله بالعدو من هزائم ، فلم يعد هناك من يخشاه[٦٣] . وهناك من يعلل السبب في ذلك بوصول انباء مقلقة من افريقية[٦٤] . وعلى الرغم من وجود نصوص عند ابن عبدالحكم ، يمكن ان تؤيد هذا الأمر ، كتلك التي تقول ان القيروان تعرضت لهجمات قوية من قبل البيزنطيين[٦٥] ، ولكن هذا الاحتمال ضعيف ، فلو تعرضت القيروان فعلاً لخطر معين ، لكان من الأجدر بعقبة ان يسرع هو في مقدمة جيشه الى هناك[٦٦] .

ومن المرجح ان السبب الذي اضطر عقبة الى ارسال معظم قواته على شكل دفعات ، واحدة تلو الأخرىٰ ، هو شعوره واطلاعه على مافعله « ابن الكاهنة » ، ولعل المقصود به « كسيلة » ، من طمرٍ لآبار المياه ، في اثناء تقدمه في حملته الكبرىٰ[٦٧] ، وهذا هو ما أدىٰ الى خشية عقبة من تعرض

جيشه لخطر الموت عطشاً ، فقرر تغييرُ طريق عودته ، وكان قد سلك في طريق تقدمه الأطلس التلي ، في حين اتبع في اثناء عودته طريق شمال الأطلس الصحراوي ، وهو اقرب طريق الى القيروان[٦٨] . ولما كانت هذه الطريق تتميز بقلة مياهها ، ولايتحمل ان يسير الجيش فيها دفعة واحدة ، لهذا فقد آثر عقبة ان يرسل معظم قواته الى القيروان على شكل دفعات ، وبقي هو مع عدد محدود من خيرة جنده ، وتوجه الى مدينتي تهوذة[٦٩] ، وبادس[٧٠] ، لفتحهما ، وترك حامية دائمة من الفرسان فيهما[٧١] ، ويبدو انه كان مطمئناً الى قدرة من بقي معه لافتتاح هاتين المدينتين ، ولما قرب عقبة من تهوذة ، ورأى البيزنطيون قلة من معه من الجيش ، انتهزوا الفرصة للايقاع به وبجيشه ، واعتصموا داخل حصنهم ، وأخذوا يستخفون به ويشتمونه ، ويرمونه بالنبل ، وهو يدعوهم الى الاسلام[٧٢] ، وفي الوقت نفسه بعثوا الى زعيم قبيلة أوربة ، كسيلة بن لمزم ، الذي كان ضمن عسكر عقبة ، ويبدو أنه قد هرب منه ، واتصل بأهله ، واتفق مع البيزنطيين للقضاء على عقبة وجيشه[٧٣] .

وقد صور لنا المالكي خطة كسيلة وحلفائه من البيزنطيين للايقاع بعقبة بقوله : « فزحف اليه عقبة ، فتنحىٰ من بين يديه ، فقالت البربر لكسيلة : لم تهرب من بين يديه ، ونحن في خمسين الفاً ، وهو في خمسة آلاف ، فقال : انكم كل يوم في زيادة ، وهو في نقصان ، وعدد الرجال قد افترق عنه ، فاذا طلب افريقية زحفت اليه »[٧٤] .

وعندما وجد عقبة وأصحابه انفسهم قلة امام هذا الجمع الكبير من البيزنطيين وحلفائهم ، إيقنوا بقرب نهايتهم ، وقرروا مواجهة الموقف

بشجاعة نادرة ، فنزلوا عن خيولهم ، وكسروا اغماد سيوفهم ، حتى تبقى مسلولة الى النهاية ، ودارت الموقعة عند تهوذة ، وقاتلوا حتى استشهد عقبة ، وأبو المهاجر ، ومن معهما من الجند[٧٥] ، ولم يبق منهم الا من وقع في الأسر .

وقد أشارت المصادر الى اسماء بعضهم . مثل محمد بن أوس الأنصاري ، ويزيد بن خلف القيسي ، وغيرهم . وقد فك أسر هؤلاء ابن مصاد ، صاحب قفصة ، وبعث بهم الى زهير بن قيس البلوي في القيروان[٧٦] . ولاتتوفر لدينا تفصيلات عن ابن مصاد هذا ، ولكن يبدو انه كان مسلماً ، والا ، ما الذي دفعه الى فك اسرى المسلمين ؟ وهذا دليل على مدى انتشار الاسلام بين قبائل السكان المحليين .

ولم يحدد المؤرخون بشكل دقيق وقت استشهاد عقبة ، اذ يفهم من الروايات بأنه استشهد في السنة نفسها التي ولي فيها ، وهي سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م[٧٧] ، وقد ناقش هذه المسألة الدكتور سعد زغلول عبدالحميد ، وتوصل الى ان عقبة قد توفي إما في أواخر سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م ، أو أوائل سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م[٧٨] .

وهكذا انتهت حياة هذا القائد والمجاهد الكبير ، ومن معه من الجند المخلصين ، بالاستشهاد في سبيل الله ، والجهاد لتحرير المغرب العربي ، من الجهل والعبودية ، والسيطرة الأجنبية ، وصار ضريحه الذي اصبح يعرف بمسجد « سيدي عقبة » مزاراً وطنياً يحج اليه الناس في كل انحاء المغرب العربي[٧٩] .

هوامش الفصل الثالث

١ ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٤ / ١٠٥ ، ابن الابار ، الحلة السيراء : ٢ / ٣٢٣ ، ابن عذاري ، البيان المغرب : ١ / ٢٣ ؛ ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ص ٣٠ .
٢ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٧٩ .
٣ ـ تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٣٩ ، ٤٠ ؛ البيان المغرب : ١ / ٢٣ ؛ وقارن : عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير : ٢ / ٢١٨ ، ٢١٩ .
٤ ـ تاريخ افريقيا والمغرب ، ص ٤٠ .
٥ ـ نزهة الانظار ، ص ٩٥ .
٦ ـ البيان المغرب : ١ / ٢٣ .
٧ ـ رياض النفوس : ١ / ٢٢ ؛ معالم الايمان في معرفة اهل القيروان : ١ / ٤٧ .
٨ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٦٨ ؛ وانظر ايضاً ، المالكي : ١ / ٢٧ ، الدباغ : ١ / ٥٢ .
٩ ـ انظر الفصل الثاني .
١٠ ـ قارن : حسن علي حسن ، تاريخ المغرب العربي ، ص ٤٠ ـ ٤١ .
١١ ـ الورثيلاني ، ص ٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٥ ، ابن عذاري : ١ / ٢٣ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٠ .
١٢ ـ الرقيق ، ص ٤٠ ، ابن عذاري : ١ / ٢٣ .
١٣ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٨ .
١٤ ـ الرقيق ، ص ٤١ .
١٥ ـ كسيلة : بن لمزم ، وقيل ابن اكزم ، او اغذ الأوربي البرانس ، من عظماء البربر ، تولى زعامة قبيلة اوربة البرانسية ، بعد وفاة زعيمها السابق (ستريدبن رومي) ، وكان على دين النصرانية ، وقد اسلم على يدي ابي المهاجر ، فأحسن اليه ، واصطعنه بمصاحبته له .
راجع الحلة السيراء : ٢ / ٣٢٧ ؛ ابن خلدون : العبر : ٦ / ١٤٦ ، السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : ١ / ٨٠ .

١٦ ـ المالكي : ١ / ٢٢ ؛ الدباغ : ١ / ٤٧ .

١٧ ـ باغاية : مدينة كبيرة قديمة ، ذات حصانة ومنعة ، تقع في اقصىٰ افريقية الى الشمال من جبال اوراس ، كثيرة الانهار والعيون ، تشتهر بكثرة مزارعها وثمارها .

راجع : البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٥٠ ، الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، الاستبصار ، ص ١٦٣ ، الحموي ، معجم البلدان : ١ / ٣٢٥ .

١٨ ـ الرقيق : ص ٤١ ، ٤٢ ؛ المالكي : ١ / ٢٣ ، الورثيلاني ، ص ٩٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٥ ؛ الدباغ : ١ / ٤٨ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٤ ؛ ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ص ٣٠ .

١٩ ـ الرقيق ، ص ٤٢ (وفيه الاسم اذنة) ؛ المالكي : ١ / ٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٥ (وفيه الاسم آربه) ، الدباغ : ١ / ٤٩ ؛ النويري : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ (وفيه الاسم أربة) .

٢٠ ـ تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٤٢ .

٢١ ـ المالكي : ١ / ٢٣ ؛ الورثيلاني ، ص ٩٦ ؛ الدباغ : ١ / ٤٩ ؛ النويري : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ .

٢٢ ـ الكامل في التاريخ : ٤ / ١٠٥ .

٢٣ ـ تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٤٣ ؛ رياض النفوس : ١ / ٢٣ .

٢٤ ـ الرقيق ، ص ٤٣ ، المالكي : ١ / ٢٣ ، الورثيلاني ، ص ٩٦ ؛ الدباغ : ١ / ٤٩ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ .

٢٥ ـ تيهرت : اسم لمدينتين كبيرتين ، احدهما قديمة ، تسمىٰ بتيهرت القديمة ، والأخرىٰ محدثة ، تسمىٰ بتيهرت الحديثة ، وبين تيهرت القديمة والجديدة مسافة خمسة أميال ، وتقع تيهرت القديمة علىٰ سفح جبل يسمىٰ جزّول ، عليها سور من صخر ، شديدة البرد ، كثيرة الغيوم والثلج ، تشتهر بكثرة ثمارها وغلاتها .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ٦٦ ، ٦٧ ؛ الادريسي ، ص ٨٧ ؛ القزويني ،

آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٦٩ .

٢٦ ـ البكري ، المغرب ، ص ٦٧ ؛ عبيد الله بن صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٩ ، وانظر ايضاً : ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٥ ، ابن عذاري : ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

٢٧ ـ الرقيق ، ص ٤٣ ؛ المالكي : ١ / ٢٣ ؛ الورثيلاني ، ٩٦ ، ابن الاثير ، الكامل : ٤ / ١٠٥ ؛ الدباغ : ١ / ٤٩ ؛ النويري : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ .

٢٨ ـ الرقيق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٤ ؛ المالكي : ١ / ٢٤ ؛ الورثيلاني ، ص ٩٦ ؛ النويري : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ .

٣٠ ـ طنجة : مدينة كبيرة وقديمة ، بناؤها من الحجر ، فيها آثار للأولى ، تقع على ساحل البحر المتوسط ، المقابل لساحل عدوة الاندلس ، تبعد عن سبتة مسافة ثلاثين ميلاً ، وعن القيروان مسافة الف ميل ، وقد كانت مقراً لحكام المغرب من البيزنطيين ، وغيرهم من الأمم السالفة .

راجع : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٠ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، الاستبصار ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٦ .

٣١ ـ البيان المغرب : ١ / ٢٥ ، ٢٦ .

٣٢ ـ المصدر نفسه : ١ / ٢٦ ؛ وقارن : عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي : ١ / ١٩٩ .

٣٣ ـ هناك اختلاف بين المؤرخين حول اسم هذا الحاكم واصله ، فقد ورد هذا الاسم بالأشكال التالية : اليان ، ايليان ، بليلسان ، ابليان ، يليان ، وقد ذهب بعضهم الى كونه بيزنطياً ، والبعض الآخر يرى انه قوطي ، والثالث يرى انه من بربر غمارة ، وقد ايدت الدراسات الحديثة الرأي الأول ، اي انه كان الحاكم البيزنطي على موريطانيا الطنجية .

راجع : الرقيق ، ص ٤٥ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٠٤ ؛ الدرة النثيرة في اخبار الجزيرة ، ورقة ٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثالث عشر ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ،

ص ٤٢ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٦ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٠ ؛ النويري : ٢٢ / ١٤ ، قد ٢ ؛ وقارن : طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والأندلس ، ص ١٤٢ .

٣٤ ـ الرقيق ، ص ٤٥ ؛ البكري ، المغرب ، ص ١٠٤ ؛ الورثيلاني ، ٩٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٦ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ .

٣٥ ـ الدرة النثيرة ، ورقة ٦٩ .

٣٦ ـ الرقيق ، ص ٤٥ ؛ الورثيلاني ، ص ٩٦ ، ابن الاثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ الدرة النثيرة ، ورقة ٦٩ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ .

٣٧ ـ السوس الادنىٰ : كورة عظيمة بالمغرب ، مدينتها طنجة ، والسوس مدينة بالمغرب ، كان البيزنطيون يسمونها قمونية ، وتشتهر هذه الكورة بكثرة الاغنام والابقار ، وبزراعة الحنطة والشعير ، في حين تفتقد الى اشجار الفواكه والزيتون .

راجع : الحموي : ٣ / ٢٨١ ؛ ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان (ليدن : ٨٨٥) ، ص ٨٤ .

٣٨ ـ الرقيق ، ص ٤٥ ، ٤٦ ؛ المالكي : ١ / ٢٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ الدباغ : ١ / ٥٠ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٦ .

٣٩ ـ وليلي : مدينة رومية ، عظيمة وقديمة ، تقع عند طرف جبل زرهون ، قرب الموضع الذي بنيت فيه مدينة فاس فيما بعد .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ١١٨ ؛ الاستبصار ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ ؛ الحميري ، ص ٦٠٩ .

٤٠ ـ درعة : مدينة آهلة عامرة بالقرىٰ والعمارات المتصلة ، والمزارع ، وبساتين الفواكه الكثيرة ، والأسواق والمتاجر ، وقد سميت بدرعة ، نسبة الى واديها المسمىٰ بوادي درعة ، وهو نهر كبير ، ينبعث من جبال درن ، وتكثر فيها المتاجر والاسواق ، وتشتهر بتجارة الحناء ، ويسكنها جماعات من البربر .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ١٥٥ ؛ الادريسي ، ص ٦١ ؛ الاستبصار ، ص ٢٠٦ ؛ الحميري ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

٤١ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٧ ؛ عبدالله بن صالح ، ص ٢١٩ .

٤٢ ـ أغمات : مدينة قديمة تقع في اقصى المغرب الأقصى ، يطلق عليها البكري اسم « اغمات ايلان » وهي مسكن لقبائل مصمودة ، ويجري فيها نهر ، يطلق عليه اسم « تافيروت » ، وتشتهر بكثرة غلاتها وبساتينها من الفواكه والكروم .
راجع : البكري ، المغرب ، ص ١٥٣ ؛ الزهري ، الجغرافيا ، ص ١٩٠ ؛ ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا ، ص ١٢٥ .

٤٣ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٧ ؛ عبيدالله بن صالح ، ص ٢١٩ .

٤٤ ـ ريكة : مدينة سهلية ، كثيرة الزرع والبساتين ، يطلق عليها البكري اسم « أغمات وريكة » تفريقاً عن « أغمات ايلان » . تشتهر بكثرة اسواقها ومتاجرها ، وتبعد عن « أغمات ايلان » مسافة ثمانية اميال ، وهي مسكن لقبائل مصمودة .
راجع : البكري : المغرب ، ص ١٥٣ .

٤٥ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٧ .

٤٦ ـ نفيس : مدينة قديمة وصغيرة ، تعرف بالبلد النفيس ، تبعد عن البحر مسيرة يوم واحد ، يجري في وسطها نهر كبير ، ينبع من جبل درن ، ومعظم سكانها من قبائل مصمودة ، وبها من الحنطة والفواكه واللحوم ، مالايكون في كثير من البلاد .
وراجع : البكري ، المغرب ، ص ١٦٠ ؛ الادريسي ، ص ٦٣ ؛ الاستبصار ، ص ٢٠٨ .

٤٧ ـ البكري ، المغرب ، ص ١٦٠ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣١ .

٤٨ ـ السوس الأقصى : كورة عظيمة ، ذات مدن وقرى واسعة وخصبة ، تكثر فيها بساتين الفواكه المتعددة الأنواع ، وغلات الحبوب من الحنطة والشعير والذرة والأرز ، يسقيها نهر عظيم ، يصب في المحيط الأطلسي يسمى بوادي ماسة ، وتسكنها جماعة من قبائل المصامدة . راجع : البلخي ، صورة الأقاليم ، ورقة ٢٩ ب ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣٤ ؛ الاستبصار ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ؛ الحميري ، ص ٣٣٠ .

٤٩ ـ ايجلي : مدينة كبيرة وقديمة ، تقع في سهل من الأرض ، وهي قاعدة بلاد السوس الأقصىٰ ، يجري فيها نهر عظيم وكبير ، تقوم عليه بساتين كثيرة ، واكثر ماكانت تشتهر به ، صناعة السكر ، والنحاس المسبوك الذي يتجهز به الى بلاد السودان .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ١٦٢ ؛ الاستبصار ، ص ٢١٢ ؛ الحميري ، ص ٣٣ .

٥٠ ـ ماسة : تقع على ساحل المحيط الأطلسي ، عند مصب وادي ماست ، أومايسمىٰ بوادي ماسة ، الذي ارتبط اسمها باسمه ، وهو نهر عظيم في بلاد السوس الأقصىٰ ، يجري من الجنوب الى الشمال ، تنتشر عليه قرىٰ متصلة وعمارات وبساتين كثيرة ، تزرع فيها أنواع الفاكهة والثمار .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ١٦١ ؛ الاستبصار ، ص ٢١١ ؛ الحميري ، ص ٥٢٢ .

٥١ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٨٦ ؛ المالكي : ١ / ٢٥ ؛ الورثيلاني ، ص ٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ الدباغ : ١ / ٥١ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٧ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣١ .

٥٢ ـ عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٠ .

٥٣ ـ وادي تنسيفت : يقع على بعد ثلاثة أميال من مراكش ، ينبع من جبل درن ، وهو نهر ليس بالكبير ، ولكنه دائم الجريان ، يفيض في فصل الشتاء ، ويصب فيه كل من وادي وريكة ، ووادي نفيس ، وأودية اخرىٰ كثيرة ، ويصب هو بدوره في المحيط الأطلسي .

راجع : الحميري ، ص ٥٤٠ ، ٥٧٨ .

٥٤ ـ وادي نفيس : يقع بين وادي سوس ووادي تنسيفت ، وهو نهر كبير ينبع من جبل درن ، ويمر بمدينة نفيس ، فيشطرها الى شطرين ، ويصيب في وادي تنسيفت .

راجع : الحميري ، ص ٥٤٠ ، ٥٧٨ .

٥٥ ـ وادي ام الربيع ، يسمىٰ أيضاً بوادي « دانسيفن » يقع الى الشمال من وادي تنسيفت ، وهو نهر كبير ، يجاز بالمراكب ، سريع الجريان ، كثير الانحدار ،

كثير الصخور والجنادل ، ويجاز هذا الوادي الى غابة كثيفة متشابكة الاشجار ، تكثر فيها الاسود ، وتقع على هذا الوادي قرية تعرف باسمه ، قرية ام الربيع ، تشتهر بكثرة خيراتها ونعمها ورخص اثمانها .

راجع : الادريسي ، ص ٧٠ ، ٧١ ؛ الاستبصار ، ص ١٨٥ ؛ الحميري ، ص ٦٠٥ .

٥٦ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٨ ؛ عبيداللهبن صالح ، ص ٢٢٠ .

٥٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .

٥٨ ـ البيان المغرب : ١ / ٢٨ .

٥٩ ـ عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٠ .

٦٠ ـ طبنة : مدينة كبيرة من أعظم مدن بلاد الزاب ، لها حصن قديم ، وعليها سور من حجر متقن البناء ، ولها ارباض واسعة ، كثيرة المياه والبساتين ، والزرع من القطن والحنطة والشعير ، ويمارس اهلها الى جانب الزراعة مهنة الصناعة والتجارة .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ٥٠ ؛ الادريسي ، ص ٩٣ ؛ الاستبصار ، ص ١٧٢ .

٦١ ـ البكري ، المغرب ، ص ٧٤ ؛ المالكي : ١ / ٢٥ ؛ الاستبصار ، ص ١٧٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ الدباغ : ١ / ٥١ ، ابن ابي دينار : ١ / ٣١ .

٦٢ ـ عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٠ .

٦٣ ـ نزهة الانظار ، ص ٩٧ ؛ الكامل في التاريخ : ٤ / ١٠٦ .

٦٤ ـ عبيد الله بن صالح ، ص ١٠٩ .

٦٥ ـ فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٨ .

٦٦ ـ عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي : ١ / ٢٠٤ .

٦٧ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٨ .

٦٨ ـ محمود شيت خطاب ، عقبةبن نافع الفهري (القاهرة : ١٩٧١) ، ص ١٤٢ .

٦٩ ـ تهوذة : مدينة رومانية قديمة ، تقع جنوب جبال الاوراس ، قريباً من بسكرة ، وكانت مسورة بسور عظيم ، آهلة بالسكان ، كثيرة الأرباض والبساتين ، من الثمار والنخيل والزرع ، ويحيط بها خندق ، ولها نهر كبير يجري اليها من

جبال اوراس ، فاذا نشبت بينها وبين طرف آخر حرب وخاف اهلها النزول اليهم فتحوا ماء ذلك النهر في الخندق ، وامتنعوا عن العدو .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ٧٢ ؛ الاستبصار ، ص ١٧٤ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢ / ٣٢٣ ، (هامش رقم ٣) .

٧٠ ـ بادس : مدينة قديمة من بلاد الزاب ، فيها آثار للأول ، وبها مياه وعيون تكثر فيها مزارع الشعير ، وبساتين النخيل ، والفواكه والثمار .

راجع : البكري ، المغرب ، ص ٧٤ ؛ الاستبصار ، ص ١٧٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان : ١ / ٣١٧ .

٧١ ـ عبيد الله بن صالح ، ص ٢٠٩ .

٧٢ ـ المالكي : ١ / ٢٥ ، الورثيلاني ، ص ٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٦ ؛ الدباغ : ١ / ٥٢ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٨ .

٧٣ ـ المالكي : ١ / ٢٥ ؛ الدباغ : ١ / ٥٢ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٨ .

٧٤ ـ رياض النفوس : ١ / ٢٦ .

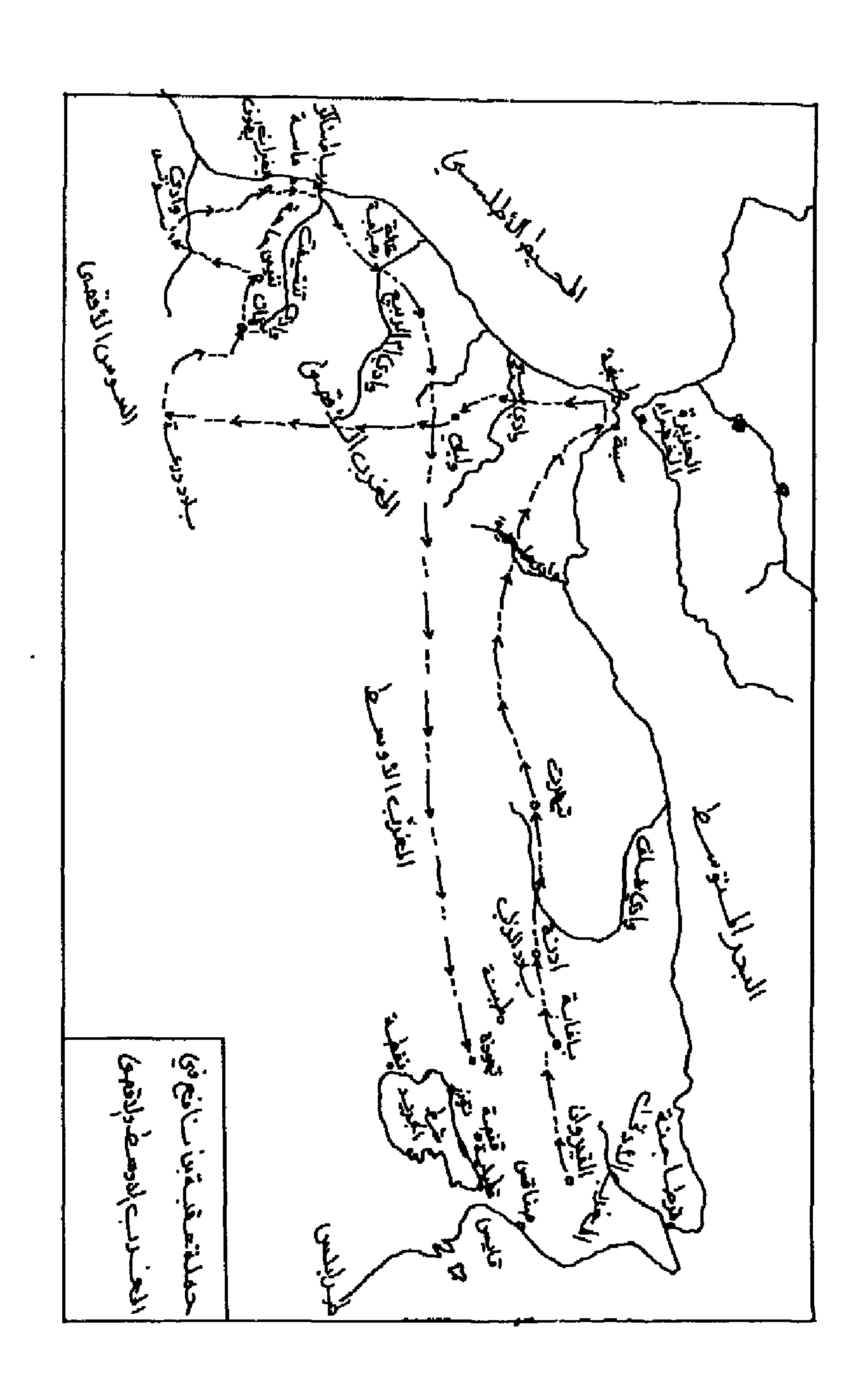
٧٥ ـ المالكي : ١ / ٢٧ ؛ البكري ، المغرب ، ص ٧٤ ؛ الورثيلاني ، ص ٩٨ ؛ الاستبصار ، ص ١٧٥ ؛ الدباغ : ١ / ٥٤ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٩ .

٧٦ ـ الورثيلاني ، ص ٩٨ ؛ ابن عذاري : ١ / ٢٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٤٧ .

٧٧ ـ قارن : احمد بن منقذ ، كتاب الوفيات ، تحقيق : عادل نهويض (بيروت : ١٩٧١) ، ص ٥٩ ؛ (ويذكر ان وفاة عقبة كانت سنة ٤١ هـ ، وهذا بالتأكيد غير صحيح) .

٧٨ ـ راجع : تاريخ المغرب العربي : ١ / ٢٠٥ .

٧٩ ـ ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٤٧ ؛ جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية : ٢ / ٢٢ .



حملة عقبة بن نافع في المغرب الأوسط والأقصى

الفصل الرابع

تميزت ولاية عقبة بن نافع الثانية بطابع جديد ، في تحرير المغرب ، تمثل بالمقاومة الشديدة والعنيفة ، من قبل السكان المحليين ، وقد بدأت بالزاب ، وتيهرت ، وانتهت بالفاجعة المؤلمة والكبرى في تهوذة ، اما قبل هذا العهد فلم يبد السكان المحليون نشاطاً ملحوظاً ومميزاً ، حيث اتخذوا موقفاً محايداً من الفتوحات العربية الاسلامية في المغرب ، باستثناء بعضهم ممن اعتنق الديانة المسيحية ، وتأثر بالحضارة الرومانية ، وكان البيزنطيون هم الذين تزعموا المقاومة ، لأن السكان المحليين وجدوا في الفتح العربي الاسلامي فرصتهم للتخلص من سيطرة البيزنطيين ، لاسيما بعد ان دخل بعضهم في الدين الاسلامي ، ووجدوا ان هذا الدين يحقق لهم الوحدة ، والعدالة الاجتماعية ، فانضموا تحت راية الحكم العربي ، وشاركوا العرب في فتوحاتهم ، وقد كان لعقبة ولأبي المهاجر من بعده دور كبير في هذا المجال ، ولكن بمجيء عقبة ثانية تغير الموقف ، اذ تذكر الروايات ان عقبة أساء معاملة كسيلة زعيم قبيلة أوربة ، وأهانه واستخف به ، ويقال ان عقبة أتى بغنم ، فأمر كسيلة بذبحها وسلخها ، فاعتذر كسيلة لعقبة عن القيام بهذا العمل ، فشتمه عقبة ، وأرغمه على القيام بذلك ففعل[1] .

ولايخفى ان هذه الروايات موضوعة ، هدفها تشويه سمعة عقبة ، وسياسته ، وتأصيل الخلاف بين العرب والبربر ، ولهذا فقد بالغت في تصوير أمر الخلاف بين عقبة وكسيلة ، وعدّته خلافاً شخصياً ، وركزت على امور واهية ، لايمكن ان يقدم عليها قائد عربي مسلم ، مثل عقبة ، والراجح ان عقبة اهمل امر كسيلة ، ولم يضعه في الوضع الذي كان ابو المهاجر يضعه فيه ، فعقبة على مايبدو كان يعتقد ان اسلام كسيلة ، كان اسلاماً شكلياً ، حاول من خلاله ان يحقق مطامحه السياسية ، في حكم بلاد المغرب ، بعد

طرد النفوذ البيزنطي ، بمساعدة العرب المسلمين ، ولهذا بدأ التناقض واضحا بين طموحات عقبة واهدافه ، وبين طموحات كسيلة وأهدافه ، فتعمق الخلاف بينهما ، حتىٰ ادىٰ الى تصادمها فيما بعد ، فتحالف كسيلة مع البيزنطيين على عقبة .

ومن الملاحظ ان عقبة على الرغم من نجاحه العسكري الباهر ، كانت تنقصه احيانا الكفاية السياسية ، ومن المحتمل ان ممارسته للحياة العسكرية ، مدة طويلة ، جعلته يعتقد ان القوة العسكرية التي يمتلكها قادرة على حسم الأمور كما يريد ، في حين كان من الممكن ان يحاول عقبة استمالة كسيلة ، واستخدام نفوذه ومكانته لدىٰ السكان المحليين ، لتحقيق ماكان يهدف اليه ، لاسيما في طرد النفوذ الأجنبي البيزنطي في بلاد المغرب ، ثم يتخذ بعد ذلك موقفاً حازماً من كسيلة ، فيما لو أصر الأخير علىٰ تحقيق مراميه السياسية التي لاتنسجم مع الوجود العربي الاسلامي ، وذلك بعد ان تستقر الأوضاع لصالح الجيش الفاتح .

وتجب الاشارة الى مسألة اخرىٰ عن دوافع السكان المحليين لمقاومة عقبةبن نافع ، فقد شكّوا في سياسته الرامية الى التوغل في بلادهم ، وانتشار قواته ، حتىٰ المحيط الأطلسي ، وتصوروا أن في ذلك تهديداً لوجودهم في بلادهم ، ولحريتهم التي لم تمس ، حتىٰ في ظل الدوَل التي حكمت بلادهم ، من الرومان والوندال الى البيزنطيين ، فقد اقتصرت سيادة هذه القوىٰ على السواحل والمناطق القريبة منها ، دون التوغل في الداخل ، والتصادم مع السكان المحليين ، وهذا ماجعلهم يمتازون بنزعتهم الاستقلالية ، ومقاومتهم لأي خطر يتهددهم[٢] ، ولم يدركوا في ذلك الوقت

المبكر الأهداف السامية ، التي يحملها العرب ، والتي حملتهم على تحرير هذا الجزء من الشمال الافريقي ، وانهم يختلفون عن كل القوىٰ الأخرىٰ في نبل مقصدهم ، وغايتهم في تخليص المنطقة من شرور القوىٰ الأجنبية .

ثانياً : وضع القيروان بعد استشهاد عقبـة بـن نافـع

كان لنبأ استشهاد عقبةبن نافع وأصحابه ، وقع كبير ومؤلم ، وأثر سيء في نفوس المسلمين ومعنوياتهم في القيروان ، لاسيما وان كسيلة بدأ يتقدم بقواته نحو المدينة ، وقد اختلفت الروايات حول موقف زهيربن قيس البلوي ، خليفة عقبة على القيروان ، فهناك رواية تذكر أن زهيراً عندما بلغه خبر استشهاد عقبة وأصحابه ، خاف خوفاً شديداً ، وقرر الانصراف الى مصر ، فأتاه أحد القادة العرب ، وهو ابن حيان الحضرمي ، وقال له مامعناه : ان انسحابك الى مصر يعني هزيمتك ، فكان اول من خرج مبارزاً العدو ، فلما رأىٰ زهير عزمه اشتد ساعده ، وقرر البقاء ، وملاقاة كسيلة ، فلما اقبل كسيلة الى القيروان ، خرج اليه زهير مع ستة آلاف من المقاتلين ، وقاتله قتالاً شديداً حتىٰ هزمه ، وقتل عدداً كبيراً من اصحابه ، وشتت الباقين ، وأقام زهير مدة قصيرة في القيروان ، ثم خرج بعدها باتجاه مصر ، فأقام في لوبية ، ومراقية ، وذلك في سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م ، حتىٰ أمده الخليفة عبدالملكبن مروان بالجيش لاعادة افريقية ، وتخليص المسلمين من يد كسيلة[٣] ، ولكن هذه الرواية تتناقض في احداثها ، فلو أن زهيراً انتصر فعلاً علىٰ كسيلة ، وشتت جموعه ، فلماذا ينسحب من القيروان الى لوبية ومراقية ، ويقيم هناك فترة من الزمن ، حتى يمده الخليفة عبدالملكبن مروان بالجيش ، ويأمره باسترداد القيروان ؟

أما الرواية الثانية التي يتفق عليها معظم المؤرخين فتشير الى ان العرب في القيروان ، انقسموا على فئتين عندما سمعوا نبأ فاجعة تهوذة : الأولى بقيادة زهيربن قيس البلوي ، الذي فضل البقاء في القيروان ، والدفاع عنها ، والوقوف بوجه كسيلة ، والصمود حتى الشهادة ، او النصر ، والفئة الثانية بقيادة حنش الصفاني[4] ، وقد ضمت الأغلبية ، وفضلت الانسحاب من القيروان الى مصر ، وقد اضطر زهيربن قيس البلوي الذي لم يبق معه سوى أهل بيته ، ونفر قليل من المسلمين الى الانسحاب ، وسار الى برقة ، وأقام فيها مرابطاً[5] ، وأقبل كسيلة بقواته نحو القيروان ، واستولى عليها ، من دون قتال ، لأن انسحاب الجيش العربي ساعد على دخول كسيلة المدينة بسهولة ، اذ لم يبق فيها سوى الضعفاء من العرب ، لاسيما الشيوخ والأطفال والنساء[6] ، وكذلك أهل الذمة[7] ، وجماعات كبيرة من مسلمي البربر ، الذين كانوا يشكلون الأغلبية في القيروان[8] ، وقد استأمن هؤلاء كسيلة ، فأمنهم ، وقد استمرت سيطرته على القيروان نحو اربع سنوات من (٦٥ ـ ٦٩ هـ / ٦٨٤ ـ ٦٨٨ م) ، مارس خلالها سلطته أميراً على افريقية والمغرب كله[9] .

أما عن طبيعة العلاقة بين كسيلة والبيزنطيين في هذه الفترة ، فلا تتوفر عنها معلومات في مصادرنا ، ولكن يمكن استنتاج وجود نوع من التفاهم والتقارب بين الطرفين ، حيث كان كل منهما راضياً عن الموقف الملائم الذي اوجدته ظروف احتلال القيروان ، وابعاد الجيش العربي الاسلامي عن افريقية[10] .

وقد ساعدت ظروف الخلافة في المشرق العربي كسيلة على الاستمرار في سيطرته على القيروان هذه المدة الطويلة ، حيث كان الأمويون يعانون من

مشكلات سياسية بعد وفاة الخليفة يزيد وابنه معاوية الثاني ، وانتقال الخلافة الى الفرع المرواني ، على أثر معركة مرج راهط سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م ، ولم يستمر مروان بن الحكم في الحكم طويلاً ، فقد وافته المنية سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م ، وانتقلت الخلافة الى ابنه عبد الملك بن مروان ، الذي انشغل بالعديد من المشكلات الداخلية ، لاسيما مطالبة ابن الزبير بالخلافة . ولكن بعد ان استتب وضع الخلافة ، ادرك الخليفة عبد الملك بن مروان اهمية المغرب ، وضرورة استعادة مافقده العرب هناك ، لاسيما القيروان . وقد وقع الاختيار على زهير بن قيس البلوي ، الذي عين والياً على افريقية سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، لتنفيذ هذه المهمة[١١] .

ثالثاً : تقويم حملة عقبة بن نافع

لقد جاء عقبة بن نافع الى افريقية ، للمرة الثانية بتصور وتخطيط مغايرين ، لما كانت عليه الحال في اثناء توليه شؤونها للمرة الأولى ، فقد تركز جل اهتمامه هذه المرة في تحقيق سياسة الأموين ، في توسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية ، وتحرير ابعد نقطة ممكنة في بلاد المغرب ، ونشر الدين الاسلامي بين صفوف السكان المحليين ، وتعليمهم مبادءه السمحة السامية ، وطرد النفوذ الأجنبي البيزنطي ، الذي كان يتحكم بأوضاع المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وقد أراد عقبة الى جانب ذلك كله اظهار قدراته ، وامكاناته الذاتية ، في تحقيق هذه المهام الكبيرة ، التي لم يتمكن من تحقيقها في فترة ولايته الأولى ، بسبب عزله المفاجيء .

وقد اشارت احدى الدراسات الحديثة الى طبيعة حملة عقبة بن نافع

على المغرب الأقصىٰ ، فذكرت انها كانت اقرب الى الغارة الضخمة ، منها الى الفتح المنظم ، حيث لم تكن لديه خطة مرسومة وواضحة ، بل كانت تحكمه العاطفة الدينية ، والحماسة في محاربة المشركين ، ونشر الاسلام ، او نيل الشهادة ، من أجل هذه الغايات ، وقد تبين ذلك من خلال تماديه في المسير ، وتوغله العميق في فتوحاته ، وعدم تأمينه لخطوط امداداته ومواصلاته الطويلة ، من اجل تزويد جيشه بالمؤن والمعدات العسكرية ، بين مركز انطلاقة في القيروان ، حتى ساحل المحيط الاطلسي ، وعلى الرغم من الانتصارات التي استطاع ان يحققها في العديد من المعارك العسكرية ، الاّ ان تلك الانتصارات لم تكن معارك حاسمة ونهائية ، فقد ترك العدو متحصناً ، في كثير من المدن ، دون ان يفتحها ، كما ان صراعه مع كسيلة ، الذي انقلب ضده ، وتحالف كسيلة مع البيزنطيين ، أفقده حليفاً مهماً ، كان من الممكن ان يحقق به الشيء الكثير ، لكنه بدلاً من ذلك اصبح عدوه الرئيس ، وهو الذي قضىٰ على عقبة وجزء من جيشه ، بل واحتل مدينة القيروان ، مركز انطلاقه ، وقاعدة العرب العسكرية ، في شمال افريقية[١٢] .

وهناك دراسة اخرى ، تناقض الأولىٰ في المآخذ التي اوردتها ، حول عدم امتلاك عقبة بن نافع خطوطاً عسكرية واضحة ، أشارت الى ان عقبة كان يملك خطة عسكرية ، سار بموجبها في اعماله وانجازاته العسكرية ، فهو لم يغفل عن تأمين خطوط مواصلاته الطويلة ، بل انه قد وضع الحاميات في المراكز المهمة ، مثل المدن ، والقرىٰ الكبيرة ، واماكن عبور الانهار ، لأن خطوط المواصلات التي تربط القاعدة الرئيسة بالجبهة ، هي الشرايين التي اذا لم تؤمن بكل دقة لتتدفق عليها وبوساطتها الامدادات والمؤن ، والقضايا الادارية ، لكان مصير القائد الفناء الأكبر ، ولايمكن لأي قائد عسكري ان

يغفل هذا الأمر ، فكيف يغفل عنه قائد مثل عقبة بن نافع ، كما ان ترك عقبة لبعض المدن ، دون افتتاح ، يعود الى خشيته من تعطيل قواته في حصارها ، وتضييع الوقت ، وحرمانه من تحقيق اهدافه الأخرىٰ ، ولحماية ظهر جنده من العدو المتحصن في هذه المدن ، لابد ان عقبة قد خصص قوات مناسبة لمراقبة تحركاتها ، ومنعها من قطع خطوط مواصلاته وامداداته ، ولولا امتلاك عقبة لخطة عسكرية ، لما استطاع ان يحقق انتصارات باهرة ومتوالية في وقت قصير[١٢] .

وعلى أية حال ، وعلى الرغم من احترامنا لوجهات النظر التي جاءت في كل من الدراستين المشار اليهما آنفاً ، يمكن القول ان اهداف عقبة وطموحاته لم تكن تتناسب وامكانياته ، ووسائله العسكرية ، كما ان الظروف الصعبة التي احاطت بحملته الكبرى ، كانت اكبر من امكانية احتوائها وتسخيرها لخدمة اهدافه ، وعلى الرغم من اخفاق هذه الحملة في الجانب العسكري ، مما أدىٰ في النهاية الى القضاء على عقبة وجزء من جيشه ، وسقوط القيروان ، بيد كسيلة ، وضياع جهود العرب المسلمين الفاتحين ، وماتم تحقيقه من فتوحات خلال اربعين عاماً ، الّا انها وعلى المدىٰ البعيد ، اظهرت نتائج ايجابية كبيرة ، ومهمة ، بدت واضحة فيما بعد ، وقد مهدت الطريق للقادة الذين جاءوا بعد عقبة بن نافع ، من اجل اعادة فتح اقطار المغرب ، وأمصارها ثانية ، وذلك بأن يفيدوا افادة كبيرة من تجربة عقبة ، في التعرف ، والحصول على معلومات تتضمن معرفة طبيعة الأرض ، ومداخلها ، ومسالكها ، وضواحيها ، وطبيعة السكان ، وأجناسهم ، ومزاياهم ، وميولهم ، وأساليب قتالهم ، ونوعية تسليحهم ، وعدد حصونهم ، وقوتها ، ومعرفة مواطن القوة والضعف فيهم ، وهذا هو

ما أدى الى نجاحهم ، في تحقيق الأهداف كافة التي استشهد عقبة من أجل تحقيقها[١٤] .

ومن جهة اخرى علينا الاّ نضع اللوم كله على القائد البطل عقبة بن نافع ، في نكسة الفتح العربي الاسلامي ، وخروج البلاد من طنجة الى القيروان ، بل علينا ان نلقي بعض اللوم والمسؤولية على قوات الجيش الموجود في القيروان ، التي لم تصمد في وجه كسيلة وقواته ، وآثرت الانسحاب على المقاومة[١٥] .

رابعاً : دور عقبة بن نافع في نشر الاسلام واللغة العربية

كان هدف العرب المسلمين الأسمى من تحرير المغرب العربي ، هو نشر الاسلام ، واعلاء كلمة الله ، ومن هنا يأتي دور عقبة وبصفه أحد القواد الفاتحين ، الذين تميزوا بدورهم الكبير ، وعملهم الدؤوب المخلص ، في سبيل نشر الاسلام والتعريب ، فالمصادر تشير الى انه كان رجلاً زاهداً متصوفاً ، بعيداً عن الحياة السياسية وتياراتها ، همه الوحيد هو الجهاد في سبيل الله ، ويعد عقبة بن نافع من اوائل قادة فتح المغرب ، الذين نشروا الاسلام واللغة العربية ، في شمال افريقيا ، وقد ابتدأت جهوده منذ سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م ، عندما قام عمرو بن العاص ، بارساله لفتح زويلة ، فاجتهد ونجح في نشر الاسلام بين السكان المحليين ، وقد اشار البلاذري الى ذلك بقوله : « ولى [عمرو بن العاص] عقبة بن نافع الفهري المغرب ، فبلغ زويلة ، وان من بين زويلة وبرقة ، مسلم كلهم حسنة طاعتهم ، قد أدى

مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهمْ بالجزية .. »[١٦] .

وعندما انسحب عمرو بن العاص الى مصر ، ترك عقبة مقيماً في هذه النواحي الصحراوية ، متنقلاً بين قبائلها ، يدعوهم الى الاسلام ، شارحاً لهم مبادئه وعظمته ، وفي سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م ، افتتح عقبة غدامس ، وأخضع قبائلها التي كانت ضاربة فيما بين برقة وطرابلس ، واتجه الى الجنوب ، ففتح العديد من واحات الصحراء التي اشرنا اليها سابقاً .

ومن ذلك الوقت الى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ظل عقبة مقيماً في تلك النواحي الصحراوية يدخل اهلها في الاسلام ويعلمهم قواعده ، ويكسب ولاءهم ، وقد اثرت شخصية عقبة ودعوته في نفوسهم ، اذ لم يلبث عقبة ان اصبح بطلاً في اعين اهل ودان وفزان وغدامس وكوّار وما اليها من الواحات ، ودخل اولئك الناس الاسلام على يد عقبة ، وعلى طريقته ، فكان اسلامهم منذ ذلك الوقت المبكر اسلاماً سليماً ، وأضحت تلك المناطق منذ ذلك الحين مركزاً للاسلام الصادق الصافي[١٧] .

وفي اثناء ولايته الأولى لافريقية ، نجد العديد من النصوص التي تدل على انتشار الاسلام ، على يدي عقبة بن نافع ، فقد كان لبناء القيروان الدور الكبير والفعال في هذا الأمر ، وقد سبقت الاشارة الى ان احد الأسباب المهمة التي دعت عقبة الى بناء مدينة القيروان هو جعلها قاعدة لنشر الاسلام ، فكانت تعمل على جذب القبائل المجاورة لها ، وأخذ هؤلاء يقتربون من العرب المسلمين ، ويختلطون بهم ، وقد أدى هذا التمازج والاختلاط إلى اطلاع السكان المحليين على الاسلام ، ومبادئه السمحة ، واخلاقه النبيلة ، وذلك من خلال تعاملهم مع العرب المسلمين ، ودعوتهم لاعتناقه ، فوجدوا في

انفسهم هوىً للاقبال عليه والدخول فيه ، بل ونشره والدفاع عنه ، وذلك من خلال الانضمام تحت راية الحكم العربي الاسلامي ، وتجنيد انفسهم الى جانب المقاتلين العرب المسلمين ، ومشاركتهم في فتوحاتهم[١٨] .

وهكذا اصبحت القيروان بالنسبة للعرب المسلمين كما يقول الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب : « قاعدة لبث لسانهم ومباديء دينهم القويم »[١٩] .

وقد حرص عقبةبن نافع في ولايته الثانية على نشر الاسلام ، في اصقاع كثيرة ، في المنطقة الممتدة بين القيروان والمحيط الاطلسي ، فقد أقام في اثناء حملته الكبرىٰ بعض المساجد البسيطة ، في العديد من المناطق ، من أجل ان تكون مراكز لبث الاسلام ونشره ، منها في سبيل المثال ماأنشأه في مدينة درعه[٢٠] ، ونفيس[٢١] ، وايجلي[٢٢] ، وماسة[٢٣] ، فضلاً عن ذلك ، فقد ترك في المغرب الاقصىٰ ، العديد من اصحابه ، ومنهم شاكر الذي سمي الموضع الذي نزل فيه باسم رباط شاكر[٢٤] . وتقدم مأساة تهوذة دليلاً آخر على مدىٰ انتشار الاسلام ، بين قبائل البربر ، فلو لم يعمل عقبة ، وغيره من القادة على نشر الاسلام بين هؤلاء السكان المحليين ، لكان مصير العرب المسلمين بعد معركة تهوذة مهدداً بالفناء ، ففك الأسرىٰ العرب من ايدي كسيلة ، وارسالهم الى زهيربن قيس البلوي في القيروان ، من قبل ابن مصاد ، صاحب قفصة[٢٥] ، دليل على انتشار الاسلام ، بين بعض قبائل البربر ، وكذلك فقد أشار المالكي الى ان افريقية انقلبت ناراً بعد دخول كسيلة ، القيروان[٢٦] . وهذا يدل على قيام ثورة عظيمة ضد كسيلة ، وان الذين قاموا بها ماهم الاّ من مسلمي البربر ، لأن القوات العربية

الاسلامية كانت قد انسحبت من القيروان الى مصر وبرقة[٢٧] .

وقد انتشرت اللغة العربية جنباً الى جنب مع انتشار الأسلام ، فهي لغة الدين وقرآنه ، وكان اقبال السكان المحليين على الاسلام ، يعني اقبالهم على تعلم اللغة العربية ، والاّ فكيف يقرأون القرآن ، ويتعرفون على شرائع الاسلام ، كما كان لاستقرار العرب بعد بناء القيروان ، واختلاط السكان المحليين بهم ، أثره الكبير في تعريب المجتمع المغربي ، وهكذا يلاحظ ان الأسباب التي ساعدت على انتشار الاسلام ، هي الأسباب نفسها التي ساعدت على انتشار اللغة العربية[٢٨] .

خامساً : عبقرية عقبةبن نافع العسكرية

يعد عقبةبن نافع الفهري من ابرز القادة العسكريين التاريخيين الذين تميزوا بفعلهم وعطائهم في سبيل تحقيق الأهداف والآمال التي يطمحون اليها ، باستخدامهم الوسيلة العسكرية ، وظهرت مواهب وقدرات عقبة ومزاياه العسكرية ، منذ الصغر ، التي ارتبطت بالحالة الجديدة التي شهدها عصره ، ببزوغ الاسلام والرسالة السماوية . التي ارسىٰ بنيانها الرسول الكريم محمد (ﷺ) وعمل الخلفاء الراشدون ، ومن تلاهم في ايصال هذا الدين الجديد ، وهذه الرسالة الجديدة الى اقاصي الأراضي في مشارقها ومغاربها ، وهكذا كانت هذه الحالة مجالاً ليختبر فيها القادة والفرسان فعلهم وميزتهم العسكرية ، ومنهم عقبةبن نافع ، الذي نشأ نشأة اسلامية ، وقومية صميمية ، المفعم قلبه بالايمان ، ويحدوه الأمل الكبير ، والثقة العالية بالنفس ، لكي يؤدي دوره الفاعل والمتميز في ايصال مبادىء الاسلام وأهدافه ، في أي مكان يكلف به .

وكان القائد عمروبن العاص اول من اكتشف مزايا عقبة العسكرية ، وهو المعروف بدهائه ، وبعد نظره ، وولاه بموافقة الخليفة عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفي ايام خلافته قيادة احد جيوش المسلمين ، لينـطلق بعدها بتحقيق انجازات عسكرية باهرة طيلة ربع قرن ، بقي فيها عقبة قائداً في افريقية ، طيلة خلافة عمربن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ـ رضي الله عنهم ـ وشطراً من ايام معاوية بن ابي سفيـان ، وعمل بامرة عدد من امراء مصر طيلة عهود هؤلاء الخلفاء الاربعة ، مما يعطي دليلاً واضحاً على ماكان يتمتع به من كفاية ومقدرة عسكـرية واداريـة ، ومايمتلكه من خبرة وتجربة طويلة وغنية في شؤون المغرب العربي ، ولأنه كان جندياً متفرغاً للجهاد ، بعيداً عن التيارات السياسية ، وكـان سيفه دائماً في خدمة العرب المسلمين ضد اعدائهم ، وحقق انجازات عسكـرية فائقة ، في ظل ظروف صعبة ، وبزمن قياسي ، يعجز عن تحقيقها غيره من القادة في ذلك الزمان .

ولقد تمتع عقبة بن نافع بخصائص وميزات عسكرية قيادية عديدة ، نذكر من ابرزها مايلي :

أولاً : كان عقبة يؤمن ايماناً عميقاً ومطلقاً بان النصر في المعارك والحروب هو من عند الله عز وجل ، ولأجل تحقيق ذلك لابد من الاستعانة به ، والتوكل عليه ، مما انعكس على أدائه العسكـري ، المفعم بالشجـاعة والاقـدام ، وركوب المخاطر ، في سبيل نشر مبادىء الاسلام وعقيدته السماوية ، ومن ذلك قوله في حملته الكبرى ، عندما وصل الى المحيط الاطلسي ، ورفع يديه الى الله بالدعاء « اللهم اني بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك ، حتىٰ لايعبد أحد من دونك »[٢٩] .

ثانياً : قدرته الفائقة في التعامل مع رجاله وافراد جيشه ، بشكل يجعل الصلة بينه وبينهم قائمة على أساس المحبة ، والثقة العالية المتبادلة ، واعتماده مبدأ رفع المعنويات في الحالة النفسية لجنده ، مما جعلهم يكونون كتلاً متراصة قوية بوجه الأعداء ، فتراه يقوم خطيباً في جيشه ، يحثهم على الجهاد والقتال ، عندما ادرك صعوبة الموقف في (تيهرت) ووجد نفسه امام تجمع عظيم من البيزنطيين وانصارهم خطب قائلاً :

«يامعشر المسلمين ، ان خياركم واشرافكم والسابقين منكم الذين رضي الله عنهم ، بايعهم رسول الله (ﷺ) بيعة الرضوان ، على قتال من كفر بالله الى يوم القيامة ، فبيعوا انفسكم من رب العالمين ، فانكم داخلون في تلك البيعة .. وانتم ماوطئتم هذه البلاد الاّ طلباً لرضاه ، وغضباً ان يعبد شيء سواه ، فابشروا ، فكلما كثر بشركم كان اخزى لهم ، واعز لدينكم ، وربكم ليس يسلمكم ، فالقوة بقلوب صادقة ، جعلكم الله اولي بأسه ، الذي لايرد عن القوم المجرمين »[٣٠] .

ثالثاً : امتلاكه قابلية اصدار القرارات الصائبة والسريعة ، وتحمل مسؤولية ذلك برباطة جأش وارادة قوية ثابتة ، ولاتتبدل نفسيته او تتأثر شخصيته في حالتي النصر والأندحار ، بل تبقى رصينة متزنة[٣١] .

رابعاً : اعتماده مبدأ المباغتة في الحرب ، التي لم تزل تحضى بالاهتمام في الحروب التقليدية او الحروب بأسلحة التدمير الشامل ، التي ظهرت شواهدها وادلتها في كثير من المعارك التي خاضها ضد اعدائه منها ، عند فتحه لمدينة (خاوار)[٣٢] .

خامساً : الأخذ بمبدأ (أمن العمل) ، وقد طبقه عقبة عند بنائه مدينة القيروان ، حيث حرص على جعلها بعيدة عن الساحل ، حيث وضع في

حساباته ، احتمال قيام الأسطول البيزنطي ، بشن هجمات مباغتة من البحر اثناء انشغال المسلمين ببناء مدينتهم[٣٣] .

سادساً : كان عقبة حينما يشن حملاته وغاراته على القبائل او المدن ، ويتحصنون وراء الأسوار المنيعة ، ويتعذر فتحها بسرعة وسهولة ، لايبقىٰ محاصراً لها طوال الوقت ، بل كان يتابع مسيرته متفادياً بذلك اضاعة الوقت ، وتعطيل قواته ، حيث كان يكفيه في مثل هذه الحالة ان يترك بعضاً من قواته في هذه المدن ، لمراقبة تحركات العدو ، والحيلولة بينه وبين محاولته قطع خط المواصلات والامدادات عنه ، وهو يمضي قدماً لتحقيق أهداف اخرى ، فالمبادىء العسكرية في حصار المدن تقوم على أساس « اذا لم تكن المدينة هدفاً سوقياً « ستراتيجياً » ، وخشي القائد مغبة تعطيل قواته لحصارها ، فبامكانه تخصيص قوة مناسبة لمراقبتها ، ومنع العدو فيها من قطع خط المواصلات ، والانصراف بعد ذلك الى اهدافه الأخرىٰ »[٣٤] ، وقد طبق عقبة هذا المبدأ اثناء حملته الكبرىٰ وايغاله في بلاد المغرب ، حتى شواطىء المحيط الاطلسي ، حيث أجل فتح عدد من المدن لكونها اهدافاً غير سوقية « ستراتيجية » ، كما ان القوات المعادية التي تدافع عنها كانت لاقيمة لها من الناحية العسكرية ، وبذلك كانت قراراته ترك حصارها وابقاءه قوة مناسبة لمراقبتها ، ولحماية خطوط مواصلاته ، تعد قراءات صائبة جداً .

سابعاً : من الميزات المتأصلة بشخصية عقبة الذي يعرف مسؤولياته القيادية ويقدرها حق قدرها ، انه كان دائماً في المقدمة ، اثناء التقدم في عملية الهجوم ، يتقدم قواته فيصل الى الهدف مع اول ركب ، مطبقاً بذلك

تقاليده العسكرية العريقة ، واسلوبه القتالي ، الذي ينص على ان يكون قائد القوم اقرب مايكون الى الخطر ، ليعطي بمثاله الشخصي لرجاله اروع الأمثال ..

وكان دائماً في المؤخرة اثناء الانسحاب والعودة ، حيث كان يشرف على حماية قواته حتىٰ تصل الى مواقعها سالمة ، زاجاً بنفسه في الخطر المحدق به ، لتنجو قواته الضاربة ، من الأخطار التي يمكن ان تحدق بها ، وهذا مافعله عقبة عندما بقي مع قلة من جنوده ، في عودته من حملته الكبرىٰ من المحيط الى القيروان ، وأشرف على حماية قواته ، حتىٰ وصلت الى مواقعها سالمة ، وسقط هو ومن بقي معه شهداء من أجل القسم الأكبر من قوات المسلمين[٣٥] .

ثامناً : حرص عقبة بن نافع الشديد على مبدأ (الاقتصاد بالقوىٰ) كاستراتيجية تفوق فيها على سائر الجيوش الأخرى ، وترجع الى قلة العنصر العربي الاسلامي عدداً في مواجهة التحديات الكبيرة ، التي كانت تجابهه في المناطق التي فتحها وحررها ، وقد كان هذا المبدأ من اكثر المباديء التي هيمنت علىٰ تفكير عقبة ، وكان لها رجحان واضح في تطبيق هذا المبدأ من الناحيتين الستراتيجية والعملياتية ، الى جانب ماعرف عن عقبة من التقوىٰ والورع والحرص علىٰ المسلمين ، وايثاره حياة مقاتليه علىٰ كل ماعداها من متطلبات ، والتي ظهرت واضحة في معركة تهوذة[٣٦] .

هوامش الفصل الرابع

١ ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٤ / ١٠٧ ، الدباغ ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان : ١ / ٥٣ ، ابن عذاري : البيان المغرب : ١ / ٢٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٢ / ١٦ ، قد ٢ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ .

٢ ـ قارن : بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

٣ ـ المالكي ، رياض النفوس : ١ / ٢٨ ، ٢٩ ؛ الدباغ : ١ / ٥٦ ، ٥٧ .

٤ ـ حنش الصنعاني : هو حنش بن عبدالله بن عمربن حنظلة ، يكنى بأبي الرشيد ، أو أبي رشدين ، من صنعاء دمشق ، تابعي كبير ثقة ، روى عن ابي هريرة ، وعبدالله بن عباس ، ورويفع بن ثابت ، غزا المغرب ، وسكن افريقية ، وتوفي فيها سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م .

انظر : الحميدي ، جذوة المقتبس (القاهرة : ١٩٦٦) ، ص ٢٠٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (مدريد : ١٨٨٤) ، ص ٢٦٣ ؛ العسقلاني ، تهذيب التهذيب (الهند : ١٣٢٥ هـ) : ٣ / ٥٧ ، ٥٨ ؛ الأنصاري ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال (بيروت : ١٩٧٩) ، ص ٩٥ ، ٩٦ ؛ التلمساني ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت : ١٩٦٨) : ١ / ٢٦٠ .

٥ ـ الورثيلاني ، نزهة الأنظار ، ص ٩٨ ، ٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٤ / ١٠٨ ؛ ابن عذاري : ١ / ٧١ ؛ ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٨٦ ؛ ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ص ٣٢ .

٦ ـ المالكي : ١ / ٢٨ ، الورثيلاني ، ص ٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٤ / ١٠٨ ؛ الدباغ : ١ / ٥٥ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٢ ؛ النويري : ٢٢ / ١٧ ، قد ٢ .

٧ ـ الدباغ : ١ / ٥٥ .

٨ ـ المالكي : ١ / ٣٠ ؛ الدباغ : ١ / ٥٧ ، ٥٨ ؛ ابن عذاري : ١ / ٣٢ ؛ وقارن : طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، ص ١٣٠ .

٩ ـ ابن عذاري : ١ / ٣١ .

١٠ ـ انظر : طه ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ .
١١ ـ المالكي : ١ / ٣٠ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ١٠٨ ؛ الدباغ : ١ / ٥٧ : ابن عذاري : ١ / ٣١ ؛ النويري : ٢٢ / ١٨ ، قد ٢ .
١٢ ـ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
١٣ ـ محمود شيت خطاب ، عقبة بن نافع الفهري ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ .
١٤ ـ قارن : المرجع نفسه ، ص ١٥١ .
١٥ ـ قارن : محمد محمد زيتون ، الفتح الاسلامي لشمال افريقية ، ص ٧٤ .
١٦ ـ فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .
١٧ ـ حسين مؤنس ، فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقية ، مجلة كلية الآداب في ليبيا ، العدد الثالث ، ١٩٦٩ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .
١٨ ـ ابن حزم ، جوامع السيرة ، تحقيق : احسان عباس ، ناصر الدين الأسد ، مراجعة احمد محمد شاكر (مصر : بدون تاريخ) ، ص ٣٤٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ٣ / ٤٦٦ .
١٩ ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية : ١ / ٢٥ .
٢٠ ـ عبيد الله بن صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
٢١ ـ ابن عذاري : ١ / ٢٧ .
٢٢ ـ البكري ، المغرب ، ص ١٤٢ : ابن عذاري : ١ / ٢٧ .
٢٣ ـ المالكي : ١ / ٢٦ .
٢٤ ـ ابن عذاري : ١ / ٤٢ .
٢٥ ـ انظر : الورثيلاني ، ص ٩٨ : ابن عذاري : ١ / ٢٩ : ابن خلدون ، العبر : ٦ / ١٤٧ .
٢٦ ـ رياض النفوس : ١ / ٢٨ .
٢٧ ـ قارن : مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٧ ؛ محمود شيت خطاب ، عقبة بن نافع الفهري ، ص ١٤٩ .
٢٨ ـ شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

٢٩ ـ ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٨ ؛ وانظر : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي (بيروت : ١٩٦٥) : ٢ / ١٣٣ .

٣٠ ـ الرقيق ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ؛ وانظر : خطاب قادة فتح المغرب العربي : ٢ / ١٣٣ .

٣١ ـ المرجع نفسه ، ص ١٣٤ .

٣٢ ـ راجع : الفصل الأول ؛ سيف الدين الكاتب ، عقبةبن نافع الفهري (بيروت ١٩٨٥) ، ص ٥١ .

٣٣ ـ راجع : الفصل الثاني .

٣٤ ـ قارن : خطاب ، قادة فتح المغرب العربي : ٢ / ١٢٢ .

٣٥ ـ المرجع نفسه ، ص ١٢٤ .

٣٦ ـ الكاتب ، ص ٥٤ .

الخاتمة

ارتبط الفعل البطولي للقائد العربي المسلم عقبة بن نافع الفهري بجهوده ونشاطاته المتميزة في صنع الأحداث التاريخية في بلاد المغرب العربي ، التي شهدت انعطافاً تاريخياً مهماً ، وتحولاً عظيماً في طبيعة بنيانها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والحضاري التي وضعت بلاد المغرب العربي على اعتاب مرحلة جديدة لتأخذ دورها الطبيعي في استكمال وتعميق النهوض العربي الجديد ، ونشر مباديء الدين الاسلامي ، ومعطيات الحضارة العربية ، واسهاماته في رفد الحضارة الانسانية .

ان الانجازات الكبيرة التي حققها عقبة بن نافع الفهري في بلاد المغرب العربي لم تكن استكمالاً وتواصلاً لجهود القادة العرب المسلمين ، الذين سبقوه ، أو عاصروه في هذه المنطقة فحسب ، بل كانت انعطافاً نوعياً ، واستشرافاً لآفاق عمل منظم ومخطط ومصحوب باندفاعة وحماسة قلّ نظيرها لأنجاز المهام المطلوبة على الوجه الأكمل .

ولعل اول خطوة مهمة في طريق هذه الانجازات ، هو قيام عقبة بتأسيس وبناء مدينة القيروان التي كانت استجابة عملية وخطوة سليمة في مجال تحرير المغرب العربي ، فقد كان غياب مركز استقرار عربي اسلامي دائم في المغرب يثبت الأرض ويكون قاعدة انطلاق لاكمال عملية التحرير قد شكل في مراحل معينة من عملية التحرير هذه عائقاً صعباً في وجه الجهد العسكري ، ولم يتح للعرب المسلمين الامكانية لتحقيق اهدافهم ، وعلى هذا الأساس فقد كان هدف عقبة من بناء القيروان هو تثبيت السيادة العربية وجعلها مركز استقرار سكاني وانطلاق عسكري ، لتكون مركزاً لنشر

مباديء الاسلام ، وآداب العرب وثقافتهم ولغتهم بين السكان المحليين .

وقد جاءت قضية عزل عقبةبن نافع في ولايته الأولى للمغرب نتيجة لسياسة خاصة لوالي مصر ، ولم تكن بسبب خطأ ارتكبه عقبةبن نافع على مستوى السياسة والادارة .

وقام عقبةبن نافع في ولايته الثانية باستكمال جهوده ونشاطاته السابقة في التوغل نحو بلاد المغرب الأقصى ، ونشر الاسلام بين صفوف السكان المحليين عن طريق الدعوة المباشرة ، وبناء المساجد في المناطق المحررة ، ووضع بعض المسلمين المتفقهين في الدين لتعليم السكان اصول الدين الاسلامي الحنيف ، ومن الطبيعي ان يقترن نشر الاسلام بنشر الثقافة العربية ، نظراً لطبيعة العلاقة الوثيقة والعضوية التي تربط بين الأثنين .

ان سياسة عقبة العنيفة احياناً لم تكن موجهة بالأساس ضد السكان المحليين ، بل استهدفت على وجه التحديد بعض زعمائهم مثل كسيلة الذي يبدو أن عقبة لم يكن راضياً عنه ، وكان يشك في نياته ، وقد اثبتت الأحداث اللاحقة صدق حدس عقبة ، فقد تحالف كسيلة مع البيزنطيين ، وترك دينه ووقف ضد العرب المسلمين ، ولو كان مخلصاً لمباديء الدين الاسلامي ومؤمناً بقيمه وتعاليمه السمحاء لحاول ان يحل خصومته مع عقبة بالالتجاء الى مركز الخلافة لايضاح المشكلة .

ان تأخر تنفيذ خطة مركزية لتحرير المغرب العربي من قبل الخلافة ، والتنسيق مع الولادة في مصر ، واختلاف سياسة عقبة عن سياسة ابي المهاجر ، انعكس سلباً في التعامل مع السكان المحليين وقادتهم ، مما ادى الى تأخير تحرير المغرب .

ويمكن القول ان طموحات عقبة واهدافه ، كـانت كبيرة ، ولم تكن الوسائل المهيئة له ، والمتاحة امامه تؤهله لانجاز تلك الأهداف والطموحات .

وعلى الرغم من استشهاد عقبة بن نافـع الفهري ، وخـروج العرب المسلمين من افريقية ، الاّ ان نتائج هذين الحدثين على المستوى السوقي البعيد كانت واضحة ومؤثرة ، فقد مهـدت تجربتـه ودروسه العميقـة في افريقية الطريق للقادة الذين اعقبوه ، لأعادة الوجود العـربي الاسلامي للمغرب ، ومعطياته الدينية والحضارية ، وتحقيق الأهداف والطمـوحات الكبيرة التي استشـهد عقبة في سبيلها .

جريدة المصادر والمراجـــع

أولاً : المصادر الأصليـــة :

أ ـ المخطوطــات :

البلخي ، أبو زيد احمدبن سهل (ت : ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) .

١ ـ صورة الأقاليم ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا لكلية الآداب ، رقم ٣٢٩ .

مجهول المؤلف :

٢ ـ الدرّة النثيرة في اخبار الجزيرة ، مخطوطة في المكتبة الوطنية في تونس ، رقم ١٨٤٠٧ .

ثانياً : المصادر العربي المحققة والمنشورة :

- ابن الابار ، محمد بن عبدالله (ت :٦٥٨ هـ / ١٢٥١ م) .

٣ ـ الحلة السيراء ، جزءان ، تحقيق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٢ م) .

٤ ـ أسد الغابة ، ٥ أجزاء ، طهران ، بدون تاريخ .

٥ ـ الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ .

- الادريسي ، أبو عبدالله محمد (ت : ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) .

٦ ـ صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٦٨ .

- الاصطخري ، أبو اسحق ، ابراهيم (ت : نهاية القرن الرابع) .

٧ ـ الأقاليم ، نشر مويلبر ، جوته ، ١٨٣٩ .

٨ ـ المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبدالعال الحيني ، ومراجعة : محمد شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ـ الأندلسي : محمد بن محمد (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) .

٩ ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق : محمد الحبيب السهيلة ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٧٠ .

ـ الأنصاري ، الحافظ صفي الدين احمدبن عبدالله (ت ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ م) .

١٠ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ـ الأنصاري ، شمس الدين عبدالله (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) .

١١ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لايبزك ، ١٩٢٣ ، أعيد طبعه بالأوفست ، مطبعة المثنىٰ ، بغداد .

ـ البكري ، أبو عبيد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) .

١٢ ـ معجم ما استعجم ، ٤ أجزاء ، تحقيق : مصطفىٰ السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

١٣ ـ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب في كتاب المسالك والممالك ، نشر دي سلان ، الجزائر ، ١٩٥٧ .

ـ البلاذري ، أحمد بن يحيىٰ بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .

١٤ ـ أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١٥ ـ فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ .
ـ التجاني ، عبدالله بن محمد (ت : القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي) .
١٦ ـ رحلة التجاني ، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨ .
ـ ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أميه (ت : ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .
١٧ ـ المحبّر : برواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ ابن حزم ، علي بن احمد (ت : ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) .
١٨ ـ جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ .
١٩ ـ جوامع السيرة ، تحقيق : احسان عباس ، وناصر الدين الأسد ، ومراجعة : احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
ـ الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .
٢٠ ـ معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .
ـ الحميدي ، محمد بن ابي نصر (ت : ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) .
٢١ ـ جذوة المقتبس ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
ـ الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت : ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) .
٢٢ ـ الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥ .

ـ ابن حوقل ، محمد (ت: ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) .
٢٢ ـ صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ـ ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .
٢٤ ـ المسالك والممالك ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٨٩ .
ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
٢٥ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧١ .
٢٦ ـ المقدمة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد (ت :٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
٢٧ ـ وفيات الأعيان ، ٨ أجزاء ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ الدباغ ، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري (ت : ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) .
٢٨ ـ معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه أبوالفضل أبوالقاسم بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق : ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٨ .
ـ ابن ابي دينار ، محمد بن القاسم القيرواني (ت ١٠٩٢ هـ / ١٦٧١ م) .
٢٩ ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٣٧٨ هـ .
٣٠ ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ /

١٣٤٧ م) .
٣٠ ـ تجريد أسماء الصحابة ، نشر ، شرف الدين الكتبي وأولاده بومباي ، الهند ، ١٩٦٩ .
٣١ ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي ، ومأمون صاغرجي ، مؤسسة الرسالة ، وشركة الفجر العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
٣٢ ـ العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٠ .
ـ الرقيق القيرواني ، ابواسحق ابراهيم (ت : ١٧ هـ / ١٠٢٦ م) .
٣٣ ـ تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، نشر رفيق السقطي ، تونس ، ١٩٦٧ .
ـ الزبيدي ، محمد مرتضىٰ (ت) ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) .
٣٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، المطبعة الخيرية ، والمنشأة الجمالية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ .
ـ الزركلي ، خير الدين .
٣٥ ـ الأعلام ، ١١ جزء ، بيروت ، ١٩٦٩ .
ـ الزهري ، أبو عبدالله محمد (ت : اواسط القرن السادس الهجري / اواسط القرن الثاني عشر الميلادي) .
٣٦ ـ كتاب الجغرافيا ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية ، م ٢١ ، دمشق ١٩٦٨ .
ـ ابن سعيد المغربي ، على بن موسىٰ (ت : ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) .

٣٧ ـ كتاب الجغرافيا ، تحقيق : اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ .

ـ السلاوي ، احمد بن خالد الناصري (ت : ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) .

٣٨ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ ، ٩ أجزاء ، تحقيق : جعفر الناصري ، ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

ـ السمعاني ، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ / ١١٩٦ م) .

٣٩ ـ الأنساب ، الجزء الثامن ، تحقيق : محمد عوامة ، نشر ، محمد امين دميج ، بيروت ، بدون تاريخ .

ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .

٤٠ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٧٩ .

ـ الضبي ، أحمد بن يحيىٰ (ت : ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .

٤١ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، نشر ، فرنسكو ، كوديرا ، مطبعة روخس ، مدريد ، ١٨٨٤ .

ـ الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

٤٢ ـ تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء ، تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

ـ ابن عبدالبر ، أبوعمر يوسف (ت :٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .

٤٣ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٥ أجزاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ـ ابن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله (ت : ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) .

٤٤ ـ فتوح افريقية والاندلس ، تحقيق : عبدالله انيس الطباع ، مكتبة المدرسة ، ودار الكتاب اللباني ، بيروت ، ١٩٦٤ .
٤٥ ـ فتوح مصر وأخبارها ، نشر : شارلس نوري ، نيوهيفن ، ١٩٢٢ .
٤٦ ـ فتوح مصر والمغرب ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦١ .
ـ العبدري ، محمد بن محمد (من كتاب القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .
٤٧ ـ رحلة العبدري ، المسماة بالرحلة المغربية ، تحقيق : محمد الفاسي ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ، الرباط ، ١٩٦٨ .
ـ عبيد الله بن صالح ، عبيدالله بن صالح بن عبدالحليم (ت : القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .
٤٨ ـ نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثاني ، ١٩٥٣ ، ص ١٩٣ ـ الى ص ٢٣٩ .
ـ ابن عذاري ، ابوالعباس احمد بن محمد (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) .
٤٩ ـ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ٤ أجزاء ، تحقيق : ج . س . كولان . وليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٨٤ ، وأعادت نشره ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت : ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .
٥٠ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تهذيب وترتيب : عبدالقادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ـ أبو العرب ، محمد بن احمد (ت : ٣٣ هـ / ٩٤٤ م) .
٥١ ـ طبقات علماء افريقية وتونس ، تحقيق : علي الشابي ، ونعيم حسن اليافي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ .
٥٢ ـ العسقلاني ، ابن حجر (ت : ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
الأصابة في تمييز الصحابة ، ٨ أجزاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
ـ ابن العماد ، ابو الفلاح عبدالحي (ت : ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .
٥٣ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ العموي ، احمد بن يحيىٰ (ت : ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .
٥٤ ـ وصف افريقية والمغرب والاندلس ، مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب ، مطبعة النهضة ، تونس ، بدون تاريخ .
ـ ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت : ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) .
٥٥ ـ تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ .
٥٦ ـ المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، بدون تاريخ .
ـ ابن الفقيه ، ابن الفقيه الهمذاني (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) .
٥٧ ـ مختصر كتاب البلدان ، نشر دي غويه ، ليدن ، ١٨٨٥ .
ـ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت : ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) .

٥٨ ـ القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .
ـ قدامة ، قدامة بن جعفر (ت : ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) .
٥٩ ـ الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ .
ـ القزويني ، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .
٦٠ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
ـ القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .
٦١ ـ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، مطابع كوستاتوماس وشركاؤه ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
ـ قنفذ ، أحمد بن قنفذ (ت : ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م) .
٦٢ ـ الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .
ـ ابن كثير ، ابو الفداء (ت : ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
٦٣ ـ البداية والنهاية ، ٤ أجزاء ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٤ .
ـ ابن الكردبوس ، عبدالمالك (ت : ٥٧٣ هـ / ١١١٧ م) .
٦٤ ـ الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثالث عشر ، مدريد ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ، ص ٤١ ـ الى ص ١٢٦ .
ـ الكندي ، محمد بن يوسف (ت : ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) .
٦٥ ـ الولاة والقضاة ، مهذب ومصحح ، بقلم : رفن كست ، مطبعة الآباء

اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ .
- المالكي ، ابو بكر عبدالله (ت : نهاية القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) .
٦٦ - رياض النفوس ، الجزء الأول ، تحقيق : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- مجهول المؤلف .
٦٧ - اخبار مجموعة ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨١ .
- مجهول المؤلف (من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) .
٦٨ - الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبدالحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ .
- المراكشي ، عبدالواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) .
٦٩ - المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- المسعودي ، علي بن الحسين (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .
٧٠ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٧٣ .
- المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت : القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .
٧٢ - البدء والتاريخ ، ٦أجزاء ، باريس ، ١٩١٦ ، أعادت مطبعة المثنى

طبعه بالاوفست ، بغداد .
ـ المقري ، احمد بن محمد (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) .
٧٣ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ٥ أجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرّم (ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
٧٤ ـ لسان العرب ، مطابع كوستاتوتوماس ، القاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق .
ـ النويري ، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) .
٧٥ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والعشرون ، القسم الثاني ، نشره وترجمه الى الاسبانية :
جاسبار رامير وتحت عنوان :
Historia De Los Musulmanes en Espana Y Africa, ١٩١٧ ، غرناطة
ـ الواقدي ، محمد بن عمر (ت : ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) .
٧٦ ـ فتوح الشام ، جزءان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ الورثيلاني ، الحسين بن محمد (ت : ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .
٧٧ ـ نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٤ .
ـ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت : ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .
٧٨ ـ تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩ .
ـ اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت : ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .

٧٩ ـ كتاب البلدان ، نشر مع كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٩١ .

٨٠ ـ تاريخ اليعقوبي ، قدم له وعلق عليه : محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٧٢ .

ثالثاً : المراجع الحديثة من كتب ومقالات

أ ـ المراجع العربيــة :

ـ بازامة ، محمد مصطفىٰ .

٨١ ـ تاريخ ليبيـا ، الجزء الثـاني ، القسم الأول ، مطبعـة دار الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

ـ البرغوثي ، عبداللطيف محمود .

٨٢ ـ تـاريخ ليبيـا الاسـلامي من الفتـح الاسلامي ، حتى بـداية العصر العثماني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١ .

ـ بو عزيز ، يحيىٰ .

٨٣ ـ الموجز في تاريخ الجزائر ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ـ بيضون ، ابراهيم .

٨٤ ـ الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتىٰ سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ .

ـ جوليان ، شارل اندريه .

٨٥ ـ تاريخ افريقيا الشمالية ، الجـزء الأول ، ترجمـة : محمد مـزالي ، والبشيربن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٥ .

٨٦ ـ تاريخ افريقيا الشمـالية ، الجـزء الثاني ، تـرجمة : محمد مزالي

والبشربن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٥ .
ـ حركات ، ابراهيم .
٨٧ ـ المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ .
ـ حسن ، علي حسن .
٨٨ ـ تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة) ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
ـ خطاب ، محمود شيت .
٨٩ ـ عقبة بن نافع الفهري ، دار الانسان ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٩٠ ـ قادة فتح المغرب العربي ، الجزء الثاني ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٩١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث ، ترجمة : محمد ثابت الفندي وآخرين ، القاهرة ، ١٩٣٣ .
ـ دبوز ، محمد علي .
٩٢ ـ تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٦٤ .
ـ الرفاعي ، انور .
٩٣ ـ الاسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ .
ـ الزاوي ، الطاهر احمد .
٩٤ ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
ـ زكار ، سهيل .
٩٥ ـ عقبة بن نافع ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، مجلة شهرية ، السنة الثالثة ، العدد الحادي والثلاثون ، آيار ١٩٨١ .

ـ زيتون ، محمد محمد .
٩٦ ـ الفتح الاسلامي لشمال افريقيا ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السادس عشر ، القسم الأول ، بغداد ، ١٩٨١ .
ـ سالم ، السيد عبدالعزيز .
٩٧ ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٦٢ .
٩٨ ـ المغرب الكبير ، الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
ـ سعدي ، عثمان .
٩٩ ـ الأصول العربية للبربر ، مجلة آفاق عربية ، السنة الخامسة ، العدد التاسع ، آيار ، ١٩٨٠ ، ص ٦ ـ ٢٥ .
ـ السعيد ، نعمة .
١٠٠ ـ المغرب العربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
ـ سيد يو ، ل . أ .
١٠١ ـ تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسىٰ البابي وشركاؤه ، ١٩٦٩ .
ـ صقر ، أحمد .
١٠٢ ـ مدينة المغرب العربي في التاريخ ، مطبعة العمل ، تونس ، ١٩٥٩ .
ـ طه ، عبدالواحد ذنون .
١٠٣ ـ الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، ميلانو ـ بغداد ، ١٩٨٢ .
ـ العبادي ، أحمد مختار .

١٠٤ ـ في التاريخ العباسي والاندلسي ، بيروت ، ١٩٧٢ .
١٠٥ ـ في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .
ـ عبدالوهاب ، حسن حسني .
١٠٦ ـ خلاصة تاريخ تونس ، مطبعة دار الفنون ، تونس ، بدون تاريخ .
١٠٧ ـ ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، الجزء الأول ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٤ .
ـ العدوي ، ابراهيم .
١٠٨ ـ الأمويون والبيزنطيون ، الدار القومية ، مصر ، بدون تاريخ .
١٠٩ ـ بلاد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
ـ ابن عبود ، محمد بن عبدالسلام .
١١٠ ـ تاريخ المغرب ، الجزء الأول ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، ١٩٥٧ .
ـ فروخ ، عمر .
١١١ ـ العرب والاسلام في الحوض العربي من البحر الأبيض المتوسط ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥٩ .
ـ فكري ، أحمد .
١١٢ ـ المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٦ ـ
فيصل ، شكري .
١١٣ ـ حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، دار العلم للملايين ،

بيروت ، ١٩٨٠ .

ـ الكاتب ، سيف الدين .

١١٤ ـ عقبة بن نافع الفهري (فاتح افريقية) ، دار اقرأ ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ .

ـ كاهين ، كلود .

١١٥ ـ تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة : بدر الدين القاسم ، دار الحرية ، بيروت ، ١٩٧٢ .

ـ كلوب ، جون جابون .

١١٦ ـ الفتوحات العربية الكبرىٰ ، ترجمة : خيري حماد ، مكتبة المثنىٰ ، بغداد ، بدون تاريخ .

ـ لومبار ، موريس .

١١٧ ـ الاسلام في مجده الأول ، ترجمة وتعليق : اسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٤ .

ـ لويس ، برنارد .

١١٨ ـ العرب في التاريخ ، ترجمة : نبيه امين فارس ، ومحمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٤ .

ـ ماجد ، عبدالمنعم .

١١٩ ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ـ المطوي ، محمد العروسي .

١٢٠ ـ سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨١ .

ـ موسىٰ ، لقبال .

١٢١ ـ المغرب الاسلامي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، ١٩٦٩ .
ـ الموسوي ، مصطفى عباس .
١٢٢ ـ العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربيـة الاسلاميـة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .
ـ مؤنس ، حسين .
١٢٣ ـ فتح العرب للمغرب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
١٢٤ ـ فجـر الاندلس ، الشـركة العـربية للطبـاعة والنشر ، القـاهرة ، ١٩٥٩ .
١٢٥ ـ فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقية ، مجلة كلية الآداب في ليبيا ، العدد الثالث ، ١٩٦٩ .
ـ نتنج ، انتوني .
١٢٦ ـ العرب ، انتصاراتهم وأمجاد الاسلام ، ترجمة : راشد البراوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
ـ هنتس ، فالتو .
١٢٧ ـ المكاييل والأوزان الاسلامية ، ومايعادها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، منشورات الجامرة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠ .

المراجع الأجنبيـــة :

128 . Encyclopaedia of Islam, New edition, Leiden — London, 1971.

129 . Marcais, Sidi Uqba, Abul — Muhajir el Kusaila, Caltiers de Tunisie, 1953, Vol. 1,pp.11 — 17.

130 . Abun Nasr, Jamil, A History of the Maghrib, Cambridge, 1971.

131 R.G. Goodchild, By Zantines, Berbers and Arabs in 7th Century Libya, Antiquity, 1967, Vol. 41.pp.115 — 123.

الفهرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر دينار ونصف